خدعة شيطانية

مغامرات أرسين لوبين

خدعة شيطانية

الكاتب الفرنسي المعروف

موريس لبلان

ترجمة

يوسف أبو الحجاج

الجواهر المسروقة

انتهى أرسين لوبين من تناول طعامه في (مطعم آرنو). ثم أشعل لفافة تبغ... وانهمك في قراءة صحيفته المفضلة.

وبعد لحظات وضع الصحيفة جانبا... ونظر إلى جواره ولم يتمالك من الابتسام.

كانت هناك فتاة حسناء... تجلس إلى المائدة القريبة منه... تحاول التفاهم مع ساقى المطعم... وهو لا يستطيع أن يفهم عباراتها الفرنسية الركيكة التي كانت تنطقها بلكنة أجنبية واضحة.

وشعرت الفتاة بعجزها عن التفاهم مع الساقى... فنظرت حولها... وفي وجهها مزيج من الحرج واليأس... ثم تعلقت عيناها بعينى لوبين لحظة جعلته يحس بأنها تستنجد به... وتدعوه إلى التدخل.

وفهم مرادها... فالتفت إلى الساقى... وقال له بلغة فرنسية سليمة:

– اسمع يا بوزيل... إن الآنسة تريد خليطها من النبيذ الجيد والفرموت مع قطعة صغيرة من الليمون.

فأحنى الساقى رأسه... وأسرع ليلبى الطلب... ثم عاد بعد قليل... ووضع أمام الفتاة قدحا تناولته... ورفعته إلى فمها في حذر... وتذوقته على مهل... ثم قلبت شفتيها باشمئزاز... فازدادت ابتسامة لوبين اتساعا.

قالت له الفتاة بالإنجليزية:

– ليتنى أتكلم الفرنسية مثلك... لكى أقول لهذا الساقى كلاما مؤلما... قاسيا... ولا يسر من يعمل في مهنته.

فضحك لوبين.. وقال لها:

– إن أغلب العاملين بالمطاعم والفنادق قلما يأتونك بما تريدين... باستثناء مطاعم (لندن) و(اشنطون).

ثم أردف بعد صمت قصير:

– هل تجدين صعوبة في التفاهم مع الباريسيين؟

فأجابت باسمة: لقد رأيت بعينيك مثلا من أمثلة هذا التفاهم. وبهذه المناسبة. لقد لاحظت أنك تتكلم اللغة الإنجليزية بطلاقة

وإتقان. مع أنك فرنسى!!

فقال لوبين في تواضع:

– هذا صحيح... فأنا أعتبر نفسى رجلا دوليا أتكلم لغات عديدة كما يتكلمها أهلها.

فسألته في فضول:

– هل سبق لك الذهاب إلى (إنجلترا) و(أمريكا)؟

فابتسم لوبين... وقال في شيء من الأسى:

– ليتنى أعرف مكانا لم أذهب إليه.

فنظرت إليه طويلا.. والتقت عيونهما مرة أخرى.

وسادت بينهما فترة من الصمت... بددتها الفتاة بقولها:

– إننى أدعى هيلين... فما اسمك؟

– لا روش... بيير لاروش.

– حسنا يا مسيو لاروش... أخبرنى بحق السماء أين تستطيع فتاة مثلى أن تقضى سهرتها... وهى توشك أن تقدم على مغامرة إذا فشلت فيها... فلن يكون في مقدورها بعد ذلك أن تختار المكان الذي تتوقف إلى الذهاب إليه.... أريد سهرة تترك في النفس أثرا لا يمحى ولا يزول

حتى آخر العمر.

فتفحصها لوبين بعينيه... وفكر لحظة... ثم أجابها قائلا:

– إن (باريس) كلها تحت تصرفك... فهل تريدين قضاء السهرة في أحد الأندية الليلية... أم في مكان آخر؟!

– أيهما تفضل؟

– أنا شخصيا أقترح قضاء سهرة ممتعة في مطعم هادئ بشارع سان لورانس اشتهر بأطعمته الإنجليزية اللذيذة... ثم نرى ما سوف يكون بعد ذلك.

– هذا بديع... أنا موافقة على اقتراحك.

ونادى لوبين الساقى... ودفع له الحساب... بينما حملت الفتاة حقيبتها.. وقفازها.. ولحقت به... وخرجت معه... إلى حيث كانت سيارتها تقف أمام باب المطعم.

وقالت الفتاة: إن لدي فرصة من الوقت حتى منتصف الليل.

وخلعت قبعتها... ومددت ساقيها على مسند السيارة فبدت أكثر فتنة... وجاذبية.

سألها لوبين:

– هيلين... وماذا بعد منتصف الليل؟ ألا تتركين لى فردة حذاء على سبيل الذكرى؟

فأجابته ضاحكة:

– بل سأترك لك الحذاء كله. لأن هناك منزلا يجب أن أسطو عليه!!

كان العشاء رائعا... شهيا..

وقد اعترفت هيلين بأنها لم تتذوق في (باريس) كلها طعاما في مثل جودته... ومذاقه... ولذته.

ثم طلبت منه لفافة تبغ أشعلتها بعود الثقاب الذي قدمه لها.. ونظرت إليه في شيء من عدم الكلفة... وكأنها تعرفه منذ سنين طويلة.. ولم تلبث أن قالت له:

– لقد سرتنى مقابلتك يا مسيو لاروش... فأنت تواجه الأمور في هـدوء... ولا تحب أن تلقى بأسئلة محرجة... أو استفسارات فضولية... مما يدل على أنك رجل عملى... واقعى.

فابتسم لوبين ابتسامة عريضة.

كان قد اعتاد أن يسمع كثيرا عن نفسه مثل هذا النوع من الإطراء.

قال لها موضحا:

– نحن معشر المغامرين قلما نفقد هدوء أعصابنا... واتزان عقلنا... أما عن الأسئلة المحرجة.. فيمكن إلقاء الكثير منها فيما بعد.

فنفثت من فمها خيطا رفيعا من الدخان... وظلت ترقبه وهو يتصاعد نحو السقف... ثم قالت في هدوء:

– سوف أتحدث إليك بكل صراحة يا مسيو لاروش... أغلب النساء يحببن الثرثرة... وما أحلى الثرثرة في مثل هذه الليلة التي يبدو كل شيء فيها كأنه حلم من الأحلام.

فضحك لوبين... وسألها:

– حسنا... من هو إذن الوحش الذي ستفتكين به هذه الليلة؟

– إنه أحد الذئاب التي تظهر للمجتمع في ثياب الحملان... هل سمعت عن بول توريد؟

فهز لوبين رأسه وقال:

– نعم... لقد سمعت عن بول توريد... بل كان يعرف الكثير عنه.. وعن أمثاله ممن حصلوا على ثروات هائلة خلال الحرب بأساليب ملتوية... ووسائل مشبوهة.

لقد جمع توريد ثروة طائلة من توريد الأحذية إلى جنود الحلفاء

بثلاثة أمثال ثمنها الحقيقى.. وأصبح بفضل هذه (الخدمة الوطنية) من كبار الأغنياء... ولا تزال فروع مؤسسته تعمل في جميع العواصم الأوربية والأمريكية.... أما هو نفسه... فإنه تقاعد... وترك الإشراف على أعماله الكثيرة للعنصر النسائى في أسرته التي لا يوجد فيها ذكور على الإطلاق.

قال لوبين أخيراً:

– نعم... أننى سمعت عن تويد. إنه أحد أقطاب الصناعة في العالم.

فقالت الفتاة: إنه عمى... وأنا أدعى هيلين تويد.

شعر لوبين بالارتياح لأنه لم يصارح زميلته برأيه الشخصى في بول تويد... وهو رأى ما كان ليكتمه لو أن هذا الأخير كان موجودا.

قال لها في صدق وإخلاص: إننى أرثى لك يا هيلين.

فاستطردت تقول:

– إن أبي يعمل كأستاذ للهندسة في (جماعة تورونتو) بكندا... ومن المؤكد أنك لم تسمع عنه قبل الآن... ولكنى أعتقد أن الله لم يخلق أخوين يختلف كل منهما عن الآخر... كما يختلف أبى عن أخيه.

كان كل هم عمى أن يبحث عن المال.. ويجمعه في الخزائن...

أما أبى فلم يكن مثله على الإطلاق... إنه رجل هادئ... كريم.. لا يختلف عن أي إنسان عادى... وهو خارج عمله أشبه بالأطفال سذاجه ووداعة... وقد بدأ كلاهما من الحضيض وحقق كل منهما أهدافه... فجمع عمى ثروة طائلة... وأتم أبى دراسته... والتحق (بجامعة تورونتو)... وحصل على درجة جامعية.. وكافح حتى وصل إلى مركزه العلمى الحالي... ثم جاءت أمى ففرقت بين الرجلين.

كان عمى يريدها زوجة له... ولكنها فضلت أبى عليه... ولم يكن لأبى ذنب في ذلك.. ولكن عمى لم يغفر له هذا التفضيل أبداً.. ولا أعتقد أنه كان يغار من أبى.. أو أنه كان يحب أمى حقا... وإنما كل ما في الأمر أنه اصطدم لأول مرة في حياته بشيء لا يمكن شراءه بالمال... فجرح ذلك من كبريائه... وأشعل غضبه... وأثار حنقه.. وغيظه.

ومهما يكن من أمر... فإنه لم يفصح عما في نفسه.. وبقى يتظاهر بالحب والعطف... ولكننى كنت أرى وألاحظ.... وكثيرا ما حاولت أن ألفت نظر أبى إلى أن أخاه لا يضمر له إلا شرا... ولكنه رفض الإصغاء إلى... بل إنه ساعد بول على مضاعفة ثروته... لأنه مخترع بارع... وقد صنع لعمى- خلال الحرب- آلات تنتج ضعف كمية الأحذية بنصف التكاليف.... نظير مبلغ تافه... ضئيل.

وصمتت هيلين لحظة... وقالت:

– لقد بدأت القصة تبدو كإحدى الروايات البوليسية أليس كذلك؟؟

فأجابها لوبين مشجعا:

– إننى أحب هذا النوع من القصص.

وأفرغت الفتاة ما كان في قدحها من نبيذ... ثم استطردت:

– لقد بدأ أبى منذ أعوام في ابتكار جهاز للسيارة ينقل سرعتها بطريقة آلية... يساعد على قيادة السيارة دون استخدام أي شيء آخر غير (الفرامل)... وبذلك ينسق سرعة السيارة في الطرق المرتفعة والمنحدرة ووسط الزحام دون أن يبذل قائد السيارة أي جهد... إنه موضوع فنى لا ضرورة الآن للإطالة في وصفه وشرحه... وحسبى أن أقول لك إنه سيحدث انقلاب خطيرا في صناعة السيارات... وإنه يساوى ثروة جسيمة... وقد أنفق أبى في سبيل صنعه وتحسينه كل ما ادخره طيلة حياته... ولكنه وجد نفسه منذ ثلاثة شهور خاوى الوفاض.. لا يملك ما يساعده على الاستمرار في العمل للوصول باختراعه إلى أقصى حالات الدقة والكمال والإتقان... فلجأ إلى عمى بول في طلب المساعدة.

وصمتت هيلين.

وكان لوبين يصغى إليها في انتباه شديد.. وعقله يعمل بسرعة... ولم يلبث أن أرسل من فمه سحابة من الدخان.. نظر من خلالها بإمعان إلى وجه الفتاة نظرة صريحة.

فاحصة.... نفاذة.... ثم قال: وقد ساعده توید طبعا.

– لقد أقرضه خمسة آلاف دولار بضمان اسمى لا أهمية له.... وهو عبارة عن عدد من الوثائق وقعها أبى كمجرد شيكات فحسب... وأظنك تعرف معنى هذه الإجراءات.

– أعتقد ذلك.

– ان تصميم الاختراع موجود الآن في خزانة عمى بقصره في (سان كلو) وهذا التصميم هو عصارة ذهن أبى... وخلاصة تفكيره.. وعلومه...وجهوده في عشرات السنين.

وتوجد مع التصميم في الخزانة ورقة بخط أبى يقر بها بأن الاختراع أصبح ملكا لعمى... وله كل امتيازاته... ومن حقه أن يستغله على الوجه الذى يريده... ولم يقيد هذا الحق بحد أو تاريخ... وكان المفروض أن ينتهى حق عمى من الامتياز في الموعد الذى يتم فيه سداد القرض... ولكن الورقة لم يذكر بها شيء من ذلك... لأن أبى رجل طيب القلب.. لا يعرف الخدع القانونية... وقد وقع هذه الورقة في

غيابى... فلم أعلم بأمرها إلا بعد فوات الأوان.

فسألها لوبين في هدوء:

– هل أفهم من ذلك أن قصر عمك في (سان كلو) هو المكان الذي تريدين السطو عليه الليلة؟

فنظرت إليه بإمعان... ودون أن يهتز لها هدب... نظرة صريحة تنم عن العزم... وقالت في ثبات:

– اصغ إلى يا مسيو لاروش... سأظل أزعم لنفسى أن هذه الليلة مجرد حلم من الأحلام... وأن ما دار بينى وبينك هو جزء من هذا الحلم الممتع... ولولا ذلك ما صارحتك بكل هذه الأمور... نعم... إننى سأسطو الليلة على قصر عمى إذا قدر لى ذلك... وسأحاول الاستيلاء على مفاتيحه... وفتح خزانته... وسرقة تصميم الاختراع... والوثيقة التي وقعها أبى... لأنه لا أمل في أن يتمكن أبى من سداد القرض... وعمى يعلم ذلك جيدا... وقد اتخذ فعلا كافة الإجراءات اللازمة لبيع الاختراع لشركة سيارات (فورد)... ولا توجد أية وسيلة قانونية لمنعه من عقد هذه الصفقة... إنها قضية من القضايا التي يمنح فيها القانون تسعة أعشار ملكية الشيء لحائزه... فإذا انتزعنا العقد والتصميم... فلن يجرؤ عمى على رفع الأمر للقضاء... وعرض تفاصيل الصفقة

علانية.. لأنها صفقة مخزية له... ويجب عليه أن يبسطها أمام القضاء إذا أراد المطالبة بشيء... فهل ترى فيما اعترفت لك به خروجا على الصواب والمنطق؟

فأجاب لوبين: إلى حد ما.

فقالت وهى تحرك الكأس بين أناملها:

- ربما. ولكن حدثنى يا مسيو لاروش. هل سمعت عن أرسين لوبين؟

- أرسين لوبين؟! ومن ذا الذي لم يسمع عنه؟!

فاستطردت هيلين في حرارة وحماس:

- إننى قرأت عنه الكثير... وأحسب أنه الوحيد الذى يستطيع القيام بهذه المغامرة... ليتنى أستطيع مقابلته... فإن مثله خير من يفهم هذا الموقف على حقيقته... وبعد... إنها مغامرة إنسانية عادلة.... رغم ما تنطوى عليه من خروج على القانون.

وصممت هيلين لحظة... ثم تابعت حديثها قائلة:

- مهما يكن من الأمر.. فأنا لا أعرف كيف أشكرك يا مسيو لاروش... إنك إنسان حسن الإدراك... طيب القلب... وقد أصغيت إلى في صبر وأناة... مما رفه عنى الكثير... وساعدنى على المضي في

سرد قصتى إلى النهاية... والآن أرجوك أن تنسى كل ما سمعت... ولنتحدث في شيء آخر... أي شيء يعجبك... ويثير البهجة في نفسك.

ملأ لوبين كأسه. وأشعل لفافة تبغ. ثم قال وعلى شفتيه ابتسامة متألقة:

– لا أظن أننى سوف أنسى أو أتناسى... هذا الموضوع يا هيلين... لقد أحسست منذ اللحظة الأولى بالعطف عليك... والانجذاب إليك... وسوف أبذل قصارى جهدى لمساعدتك في حل مشكلتك... وسنذهب الآن معا إلى قصر عمك في (سان كلو).

فنظرت إليه هيلين في دهشة بالغة...ولكنه طمأنها قائلا:

– لم تخلق بعد الخزانة التي أعجز عن فتحها.

فازدادت دهشة الفتاة... وغمغمت غير مصدقة ما تسمع:

– ولكن... كيف... كيف...

فابتسم وأجابها في هدوء:

– لأننى الرجل الذي تبحثين عنه... أنا أرسين لوبين.

ذهلت هيلين... حتى إنها لم تستطع أن تنطق بكلمة واحدة لفترة من الوقت.

وبعد لحظات... حين تكلمت... كان صوتها حافلا بالفرحة...

نابضا بأقصى درجات السعادة:

هتفت وهى تصفق بيديها كالأطفال:

– كم أنا سعيدة الحظ.... يا إلهى... من يصدق؟ من يصدق؟

فضحك لوبين وقال:

– اشربى كأسك... وهيا بنا... لقد اقترب منتصف الليل.

وانطلقا بسيارتها إلى (سان كلو)

قالت هيلين وهى تشير بأصبعها: هو ذا القصر.

وأوقف لوبين السيارة... وجد نفسه أمام قصر فخم مشيد على الطراز الرومانى... فوق منطقة مرتفعة بعيدة عن الطريق العام... تحيط به حديقة كبيرة رائعة الأزهار.

وقف يتأمل القصر... وقد خيل إليه أنه يعرف كل ركن فيه... كما لو كان يعيش فيه منذ عدة أعوام... فقد أدلت له هيلين بوصف دقيق لمداخل القصر.. ومنافذه.. وقاعاته.

وأروقته... ورسمت له... على ورقة في المطعم... وهم يتناولان أقداح الشراب... صورة مفصلة عن مواقع الغرف... ومكان الخزانة.

وكان الليل قد انتصف... أو كاد... والسماء مظلمة... حالكة....

لا قمر فيها.... ولا نجوم.

وهمست هيلين في نشوة وطرب:

– إنها حقا ليلة صالحة للمغامرات.

فقالت هيلين تسأله:

– إننى مازلت أجهل سر مجازفتك من أجلى؟

فأجابها موضحا:

– لأننى أحب هذا النوع من المغامرات... إن لى رأيا خاصا في مثل هذه المخاطرات... والواقع... أننى كنت أتوق... في الفترة الأخيرة... إلى مثل هذه الفرصة... ولو أننى سمعت بقصتك وأنا على مئات الأميال... لما ترددت في القدوم على الفور.

– ألا ترى من الأوفق أن أرافقك؟

– هذه مهنتى.. وأنا أدرى بها منك.

– ولكن... لنفرض أن عمى استيقظ من نومه؟

– سأعرف. إذا حدث ذلك... كيف أجعله يعود إلى النوم في الحال.

– وإذا اكتشف الخدم وجودك؟

– سأشد وثاقهم... أو أقذف بهم من النوافذ.

- ولكن... هب أنهم قبضوا عليك؟

- في هذه الحالة يكون العالم قد قرب من نهايته... ولكن لا تقلقى...حتى لو حدث المستحيل... وقبضوا على... فلا بد من وقوع ضجة تبلغ مسامعك... وتنبهك إلى الخطر.. وفى تلك الحالة يتعين عليك أن تهربى بالسيارة إلى باريس... وتنتظرى النتيجة هناك... لقد أصبحت مغامرتى... لا مغامرتك.

قال ذلك. ووثب إلى سور القصر بخفة وبراعة أثارت دهشة الفتاة.

كان السكون تاما... والظلام شاملا... وليس ثمة بصيص من الضوء في النوافذ... والشرفات... ولكنه دار بالقصر في حذر ليكون على ثقة.. ويقين.

وكانت عيناه قد ألفتا الظلام. فلم يحدث أية حركة تنم عن وجوده.

وما هي إلا دقائق حتى كان قد اجتاز الحديقة.. ووقف أمام الباب الداخلى.

كان بابا ضخما من الخشب السميك.

ولم يكلف لوبين نفسه عناء معالجته.. واقتحامه... بل استقرت عيناه على نافذة في الطابق الأرضى... كان فتحها... بالنسبة إليه... كمن يفتح علبه ثقاب.

وبعد لحظات.. فتح النافذة.. ووثب منها إلى الداخل... فوجد نفسه في مطبخ القصر.

أضاء مصباحه الكهربائى... وأجال بصره فيما حوله... فرأى لوحة المفاتيح الكهربائية التي تتحكم في إضاءة القصر. رآها في نفس المكان الذي ذكرته له هيلين.. فسار نحوها وانتزع المفاتيح... وقطع التيار... وشعر بالاطمئنان..

الآن لم يعد يخشى أهل القصر... إذا شعروا به... وحاولوا مطاردته... فإنهم سوف يتخبطون في الظلام... ويتعذر عليهم التعرض له... أو الوصول إليه.

وسار بخفة إلى بهو القصر... ورفع مزاليج الباب الكبير..

كان... كعادته دائما... سريع البديهة.. بعيد النظر... دائم الحرص على إعداد منفذ أو منفذين... للإفلات إذا اضطربت الأحوال... وتحرجت الأمور... وحدث ما لم يكن فى الحسبان.

وقصد بعد ذلك إلى غرفة المكتبة... في نفس المكان الذى وصفته هيلين. وفتح نافذتها على سبيل الاحتياط. وبدأ في البحث عن الخزانة.

لقد ذكرت له هيلين أن الخزانة موجودة داخل الجدار.. وراء أحد الدواليب.. فإذا فتح باب الدولاب...ظهرت الخزانة.

وقد وجدها... حيث وصفتها له...

وما أن سلط عليها ضوء مصباحه الكهربائى... حتى أدرك أنها ليست من النوع الذى يفتح بسهولة.

لم يتعود أرسين لوبين أن يحمل أدوات العمل... ولا أن يحشو جيبوبه كما يفعل المبتدئين بالمواد الحارقة أو الناسفة أو المذيبة للفولاذ...

كان دائما شديد الثقة بنفسه... يتصرف وفقا للظروف والأحوال.

وقد صمم على فتح الخزانة بمفتاحها... فتسلل إلى خارج الغرفة... وصعد السلم بخطى لا تسمع... وقصد إلى مخدع المستر بول توبد..

وكان الرجل مستغرقا في نومه... وهو يغط بصوت مسموع.

ولو أنه كان مستيقظا... لما سمع حركة فتح الباب... أو وقع أقدام لوبين وهو يتسلل إلى الداخل.. ويتناول حلقة المفاتيح من درج الطاولة الصغيرة... المجاورة للفراش...

وينتزع من حول عنقه سلسلة ذهبية يتدلى منها مفتاح قد يكون مفتاح الخزانة المطلوب!!

وهبط لوبين السلم مرة أخرى وكأنه شبح من الأشباح.

وعاد إلى غرفة المكتبة... وسلط نور مصباحه على باب الخزانة..

واختار من بين المفاتيح واحدا رجح أنه المفتاح المنشود.

وما أن وضع المفتاح في قفل الخزانة... وأداره... حتى فتح بابها بحركة أدخلت السرور إلى قلبه... فمد يده المكسوة بقفاز من المطاط... وفتح درجا كبيرا في داخل الخزانة... فوجد مجموعة من الأوراق مربوطة بخيط رفيع... وقد كتب عليها بحروف كبيرة:

(أجهزة القيادة الأتوماتيكية).

وقطع لوبين الخيط... وبسط الأوراق بين يديه... فرأى رسوم التصميم...ووثيقة قانونية..... ورسائل بعض مصانع السيارات في الولايات المتحدة.

قضى لوبين الدقائق العشر التالية في نسخ بعض الأوراق.. والوثائق.. واستغرق في العمل... فلم ينتبه إلى حركة خافتة... مبهمة... كان من الممكن أن تلتقطها أذناه الحساستان... لولا انشغاله بما بين يديه. على أنه لم يلبث أن شعر بالخطر حين سمع وقع أقدام تتحرك بحذر في الشرفة الملحقة بالغرفة... واقتربت هذه الحركة بهمسات خشنة.. وأصوات غامضة.

رفع رأسه... ونظر حوله... وأصغى بكل حواسه.

كانت مفاجأة له لم تكن في الحسبان.

ووقع بصره مصادفة على الخزانة التي كان قد أغلقها في التو واللحظة... فاكتشف وجود خيط معدنى رفيع ممتد من الجدار إلى أحد أركان باب الخزانة... فأدرك على الفور أن هذا الخيط من جهاز للإنذار مثبت بالخزانة... ولابد أن يكون هذا الجهاز بمعزل عن التيار الكهربائى الذى يضيء القصر.

لم تكن هيلين قد ذكرت له شيئا عن هذا الجهاز... ومن المحتمل أن يكون بول توبد قد احتفظ بأمره سرا... فلم يتحدث به إلى أحد.

أطفأ لوبين مصباحه الكهربائى بسرعة... ووثب نحو باب الغرفة... وفتحه في حذر.. وخرج إلى الصالة.

وهناك... وجد بينه وبين الباب الخارجي.. رجلا ضخم الجثة يحمل في يده هراوة غليظة.

ونظر إلى الردهة الضيقة الموصلة إلى المطبخ... فرأى رجلا رياضى الجسم...مفتول الساعدين... يتقدم نحوه بخطوات خفيفة.

وأرسل بصره إلى السلم... وهو المنفذ الأخير... فرأى مستر بول توبد واقفا في أعلاه... وبإحدى يديه شمعة مضاءة... وبيده الأخرى مسدس ضخم.

لم يفقد لوبين أعصابه.

جمد مكانه لحظة... ثم تلاعبت على شفتيه ابتسامة ساخرة... ولم يلبث أن انحنى أمامهم في أدب جم وهو يقول:

- طاب مساؤكم أيها السادة... يؤسفنى أننى أزعجتكم في هذه الساعة المتأخرة من الليل.

ثم دار على عقبيه... وعاد مسرعا إلى غرفة المكتبة... وأغلق بابها وراءه بصوت مسموع!!

كانت جرأته قد أذهلت الرجلين... فجمدا في مكانهما لحظة... ثم هجما على غرفة المكتبة في وقت واحد... وفتحا بابها..

ولحق بهما مستر توبد. ولكنه لم يجازف بالدخول. بل وقف بالباب... ورفع الشمعة فوق رأسه ليتسنى له رؤية ما يحدث في الداخل.

ووقف الرجلان فجأة في دهشة وذهول... ولم يصدقا عيونهما كانت الغرفة خالية تماما!!

وكان الرجل الضخم أسرع من زميله في تمالك نفسه... والتخلص من وقع المفاجأة.. فأسرع نحو مقعد كبير في ركن الغرفة... وأطل وراءه.. وتشجع الرجل الآخـر... وأسرع إلى ستار النافذة... وحركه... فوجد النافذة مفتوحة على مصراعيها.

وبينما كان الرجل الضخم يحرك المقعد... وزميله يفحص

النافذة... وثب لوبين من فوق السلم وراء الباب كان يستخدم بغير شك للوصول إلى الرفوف العليا لدواليب الكتب... وهبط بكل ثقله فوق مستر تويد... فأفلتت من فم هذا الأخير صيحة ذعر... وسقطت الشمعة من يده... وانطفأت.. فدفعه لوبين إلى داخل الغرفة وأغلق بابها من الخارج.

همس لوبين قائلا لهيلين:

- لا يزال لدينا متسع من الوقت لقضاء ساعة في أحد الأندية فذعرت الفتاة... ونظرت حولها.. فرأت لوبين يخرج من الظلام.

قالت بصوت خافت وهى تلهث:

- هل كان من الضرورى أن تخيفنى على هذا النحو؟

فضحك في سرور.. ونظر إلى القصر... حيث سمع ضجة كان وقعها في أذنيه أعذب من ألحان الموسيقى.

ووثب إلى السيارة... وأدار محركها.. فسألته الفتاة:

- هل حدث ما لم يكن في الحسبان؟

فأجابها في ارتياح: لم يحدث ما يتعذر تلافيه.

وانطلقت بهما السيارة تسابق الريح.

وأشعل لوبين لفافة تبغ راح يدخنها في تلذذ واستمتاع...

وسألته هيلين: هل جئت بكل شيء؟

– ألم أقل لك إننى لا أعرف المستحيلات؟

– ولكن ما سبب تلك الضجة التي كانت منبعثة من القصر؟

– يبدو أن الخزانة كانت متصلة بجهاز للإنذار لم يكن لك به علم.. على أن وجود الجهاز لم يغير من الأمر شيئا.. فقد وصل الأغبياء بعد فوات الأوان.

فأمسكت ساعده بانفعال وهتفت:

– إننى لا أكاد أصدق أذنى لقد انتهت المغامرة كما ينتهى الحلم السعيد... من ذا الذى يصدق أننى اشتركت مع أرسين لوبين الجبار... قاهر شرلوك هولمز... وجانيمار وبيشو... وتيل؟! هل ثمة مانع من أن أعبر عن اغتباطى... وبهجتى... وسعادتى؟!

ومدت يدها إلى زر بوق السيارة... وراحت تضغطه بحركة منتظمة... فأرسلت نغمات متناسقة انسابت في هدوء الليل.

وابتسم لوبين.

إنه نفسه لا يكاد يصدق أن الأمر تم بهذه البساطة.. والسهولة. لقد

كانت ليلة سعيدة منذ البداية.

ومال بالسيارة في منحنى الطريق.

وفجأة رأى أمامه صفا من المصابيح الحمراء فقال وهو يضغط على (فرامل) السيارة: لم تكن هذه المصابيح هنا عند مجيئنا.

وصمتت هيلين.. وجمدت في مكانها... ولم تلبث أن همست:

- ترى ما هذا؟

ولكنه هز كتفيه... وأوقف السيارة على بعد ثلاثة أمتار من المصابيح الحمراء.. وقد تبين له أنها مثبتة في لوح خشبى موضوع في عرض الطريق.

كان الظلام حالكا... فلم يميز لوبين شيئا وراء المصابيح الحمراء.

وعلى حين بغتة أحس بشيء صلب يلتصق برأسه فتحول بسرعة... ورأى فوهة مسدس... ورجلا يرتدى معطفا... يقف بجانب سيارة صغيرة.. سوداء.

قال له الرجل المجهول في هدوء مخيف:

- لا تحاول أن تأتى بمجرد حركة واحدة.

وفى نفس الوقت غادرت هيلين السيارة.. وقالت له وهى تغلق

بابها: هنا تنتهى رحلتى يا مسيو لوبين:

فقال لوبين في رفق: حسنا... أطيب تمنياتى.

وقال الرجل في لهجة الأمر وهو يلوح بمسدسه:

- أعطنى الأوراق.

فأخرج لوبين من جيبه مجموعة من الأوراق.... تناولتها هيلين... واقتربت بها من مصباح السيارة... وقرأت على ضوئه ما كتب عليها.

وتأملها لوبين وهى تفعل ذلـك... ولم يتمالك من الإعجاب بخصلات شعرها... والنسيم يتلاعب بها.

وعادت هيلين... وقالت له موضحة:

- ليس للمستربول توبد أي شقيق يعمل أستاذا فى (جامعة تورونتو).... وليست لى أية صلة بأسرة توبد... وفيما عدا ذلك فإن كل ما ذكرته لك صحيح.

لقد اشترى توبد هذا الاختراع من مخترع رومانى شاب ولا أعلم كم دفع ثمنا للاختراع... ولكنه اشتراه فعلا.

والاختراع لم يسجل إلى الآن... وأهم شيء في الاختراعات... بالنسبة إلى المصانع... أن يكون من هذا النوع... وأن يظل سرا حتى

يتمكن المصنع من إنتاجه قبل غيره... بحيث يسبق أي مصنع آخر.... وقد كان تويد على وشك أن يبيع الاختراع لمصانع سيارات (فورد) كما ذكرت لك.

فسألها لوبين في فضول: وماذا في نيتك أن تفعلى به؟

– إن لدى عرضا من (ديفى شندلر) صانع السيارات الأمريكي المشهور.... وقد قبلت العرض... وسأبيعه الاختراع.

قالت ذلك... وسارت إلى حيث كانت اللوحة الخشبية التي تحمل المصابيح الحمراء... فأزالتها من مكانها.... وأفسحت الطريق...

ثم عادت إلى لوبين... ونظرت إليه بعينيها الصريحتين اللتين أعجب بصفائهما في المطعم...واستطردت تقول:

– لقد قضينا أسبوعا في الاستعداد والتأهب لهذه المغامرة.. وكان في نيتنا القيام بها بأنفسنا هذه الليلة... لولا أننى التقيت بك في المطعم... وعرفتك من صورة نشرتها لك إحدى الصحف منذ بضع سنوات.

وكل ما حدث منذ لقائنا كان مجرد وحى خطر ببالى لحظتها... وبعد... هل هناك أبدع من أن يستخدم الإنسان أعظم خبير في المهنة لخدمته... وتحقيق أغراضه؟

فسألها لوبين: في أية صحيفة رأيت صورتى؟

– في صحيفة (أيكو دى فرانس)... لماذا؟

– آه. كان ذلك منذ أعوام. إننى أهنئك لحدة ذاكرتك. وقوة ملاحظتك.

فضحكت ضحكة هادئة تجمع بين المرح والأسى وقالت:

– إننى جد آسفة... لقد طابت لى صحبتك كثيرا.

فأجابها في صدق: أننى لا أقل عنك أسفا يا هيلين.

فصمتت لحظة. ثم مالت عليه فجأة. وطبعت على شفتيه قبلة سريعة.

وقال الرجل الآخر وهو يحرك المسدس في يده:

– امضى فى سبيلك... ولا تتوقف.

– ألا تريدون سيارتكم؟

فضحك الرجل بخشونة وأجاب:

– إن لدينا سيارتنا... أما هذه السيارة فقد استأجرناها من أحد (الجاراجات) خصيصا لهذه المهمة... انطلق في سبيلك.

فأدار لوبين محرك السيارة... وهتفت هيلين:

– وداعا يا لوبين.

فرد لوبين تحيتها بحركة من يده... دون أن ينظر وراءه... وانطلق بالسيارة يسابق الريح.

وضحك طويلا وهو في طريقه إلى باريس.

كان يتخيل ما سوف تشعر به هيلين... وتقوله عنه... عندما تبسط الأوراق بين يديها.. وتكتشف أنها مزورة... غير صحيحة... لا فائدة منها... ولا نفع فيها.... بعد أن زيفها بسرعة في قاعة المكتبة على سبيل الاحتياط... واحتفظ لنفسه بالتصميم الحقيقى للاختراع الخطير!!

العقد الذى اختفى

جلس الرجلان في (مطعم آرنو). وبينهما كأسان من النبيذ الفاخر. كان أحدهما قصير القامة. متجهم الوجه. تنم النظرات التي يختلسها إلى زميله بين حين وآخر. عن ريبته فيه. وعدم ثقته به.

وكان دائم القلق... شديد الحذر... كمن يجالس ثعبانا يخشى أن يلدغه في أية لحظة!!

أما الرجل الآخر فكان طويل القامة... ضاحك الوجه... ساخر النظرات... شديد المرح والابتهاج.

قال الأول دون أن ينظر إلى جليسه:

عجبا لك يا زنيت. إنك تضيع الكثير من وقتك في العناية بتوافه الأمور... مثال ذلك اهتمامك بدراسة أنواع النبيذ والخمور... ومعرفة

طريقة صنعها... وخصائص كل منها.... وهى مسائل لا يهتم بها غير تجار الخمور الكبار... الذين يعملون على نطاق واسع.

فابتسم لوبين وأجاب:

- إن الذين يعملون في مهنتنا يا عزيزى المفتش بيشو.. يشعرون دائما بأن هناك أشياء ينقصهم العلم بها.. فالميدان الذى نجول فيه ونصول... لا يضم فقط جيادا تحاول الوصول إلى الهدف قبلنا... وإنما تضم كذلك كلابا تحاول أن توقع بنا. وتقطع علينا السبيل. والعناية بمعرفة الأشياء الصغيرة قبل الكبيرة كثيرا ما تحقق لصاحبها السبق والفوز.. انظر مثلا.. إننى حين أمسك هذا الكأس لأرفعه إلى شفتى... لا أفكر في متعة ارتشاف النبيذ بقدر ما أفكر في الأعناب الذهبية التي صنع منها... ومن الأسماء الخالدة التي اقترنت بأجود أنواع النبيذ.

إن لبعض هذه الأسماء رنينا أعذب من أنغام الموسيقى... مثل شمبريان... رومانية... كونتيه... ريشبورج.. فوجيو... ولا أتملك كذلك من التفكير في العظماء الذين استعبدهم عصير الأعناب والكروم أولئك (السكارى الخالدون).. كما أسماهم (رابليه) من أمثال أوجست العظيم... ملك سكونيا الذى رزق خمسة وستين ولدا بين شرعى... وغير شرعى... ومات من الإفراط في الشراب

أثناء احتفالاته بعيد ميلاده... ودوق كلارنس الذى غرق في برميل الخمر... كذلك لا أتمالك... حين أتناول النبيذ أو أتحدث عنه... من التفكير في اللآلئ التي...

فهتف المفتش بيشو مقاطعا: آه.. لقد كنت حائرا.. لا أدرى كيف أقحم موضوع اللآلئ في حديثنا.

فابتسم لوبين... واستطرد قائلا:

– ما أوثق الصلة بين اللآلئ والنبيذ... ألم تقرأ أن أباطرة الرومان كانوا في مباذلهم يذيبون اللآلئ في النبيذ ليثبتوا أنهم لا يقيمون وزنا للمال؟ ألم تسمع عن المأدبة الفخمة التي أقامتها كيلوباترا ملكة مصر... لقيصر العظيم... حين قدمت إليه بيدها قدحا من الخمر أذابت فيه لؤلؤة لا تقدر بثمن؟

إذا لم تكن قد قرأت أو سمعت عن كل هذا يا عزيزي بيشو... فأنت رجل جاهل.. لا تصلح مفتشا للبوليس.

فحدج بيشو (صديقه اللدود) بنظرة صاعقة... وقال في حنق:

– دعك مما قرأت... ومما سمعت... إن ما أريد معرفته الآن هو مدى اهتمامك بجواهر الليدى شندلر التي يلقبونها بملكة الماس؟

فتنهد لوبين في أسف وأجاب.

– إنك تشعرنى بالخجل من نفسى يا بيشو.... كلما فكرت في أننى اتخذت صديقا لا يهتم لغير الماديات الزائلة؟

لقد دعوتك لنتناول معا طعاما شهيا. وبضع كؤوس من النبيذ المعتق الممتاز. وكنا. منذ لحظة واحدة. نقوم بجولة شاعرية في ربوع التاريخ بين الأساطير الخالدة. وإذا بك تهبط فجأة إلى عالم الإثم والإجرام. وتتهمنى بالتدبير للحصول على لآلئ تلك الأرملة التعسة.

فقال المفتش بيشو ينم عن الارتباب:

– بل إننى سأمضى إلى أبعد من ذلك.. وأسألك: هل اختيارك هذا المكان لتناول الطعام كان مجرد صدفة؟

فهتف لوبين محتجا: وهل يخامرك في ذلك شك؟ لقد خيل إلى أنه مكان هادئ... أنيق.. نستطيع أن نقضى فيه وقتا طيبا.

فعاد بيشو يقول في شك: ألم يقع اختيارك على هذا المكان لأنك علمت بطريقة ما.. أن الليدى شندلر ستحضر إليه؟

– كلا طبعا.

– إذن فوجودها هنا الآن مجرد مصادفة.

فرفع لوبين حاجبيه في دهشة.

وقال المفتش بيشو دون أن يحول عينيه عن محدثه:

– إنها خلفك... إلى اليسار.

فاحتسى لوبين كأسه في هدوء... ونظر من فوق كتفه دون اكتراث لم يكن في حاجة إلى من يرشده إلى الليدى شندلر... فقد نشرت لها الصحف والمجلات عشرات الصور.. وكتبت عن ثروتها من اللآلئ... والأحجار الكريمة... ما جعل صورتها تنطبع في ذهنه... ولا تزول.

كان زوجها اللورد شندلر رئيسا لاتحاد تجار الماس.. وصاحب أغنى مناجم الماس في جنوب أفريقيا... وقد توفى في العام الماضى... وترك لزوجته ثروة طائلة من الأموال والأسهم.. والأحجار الكريمة ولعل أبدع ما تركه لها... ذلك العقد الفريد.. الرائع... المكون من اللؤلؤ الوردى... الذى ابتاعه من أحد مهراجات الهند العظام.

وكانت الليدى نحيفة الجسم... بارزة العظام... ذات وجه صامر... مستطيل... ولم يكن لوبين في حاجة إلى إطالة النظر نحوها... لكى يعرف الكثير من خلقها وطبعها.

ومع ذلك... فقد طالت نظراته أكثر مما ينبغي.. واستقرت عيناه لحظات على وجه الفتاة الحسناء.. الفاتنة.. الذهبية. الشعر... التي كانت برفقة الليدى المشهورة.

هز رأسه في عجب... وازدادت ابتسامته اتساعا.

كانت تلك الفتاة... بالنسبة إليه.. شخصية لا تنسى.

قال بيشو بصوت خشن.

- حسنا.... ما رأيك؟

- في منتهى الجمال.

فزمجر بيشو: طبعا... لقد قدر ثمنها بمائة ألف جنيه.

فهتف لوبين في سذاجة:

- هل تعنى لآلئ العقد؟! إننى لم أنظر إليها. إنما نظرت إلى ابنة الليدى.

فأرسل المفتش بيشو بصره... إلى ما وراء لوبين... حيث كانت تجلس الليدى شندلر.. ثم قال:

- إن الليدى ليس لها بنات... وأعتقد أن الفتاة التي معها هي إحدى صديقاتها.. ما أشبهها بنجوم السينما.. الحق أنها على جانب عظيم من الجمال.

ثم قطب حاجبيه فجأة وقال:

- لا تحاول أن تضللنى يابارنيت.. إننى عندما قرأت في الصحف نبأ قدوم الليدى شندلر... اتجه تفكيرى إليك على الفور... أننى مطبوع

على الهدوء كما تعلم... والرأى عندى دائما أن منع حدوث سرقة خير من مطاردة اللص بعد أن يسرق... مهما يكن من أمر.. فإننى مازلت أعتقد أن قدومك إلى هذا المطعم بالذات لم يكن محض مصادفة..

– هل تعنى أننى أضمر شيئا.. وإننى لذلك قد جئت بك إلى هنا؟

– إن دعوتك لى... إلى هذا المكان... ليست دليلا على براءتك... وحسن نيتك... فأنا من أعلم الناس بمدى ما تتمتع به من وقاحة.. وجرأة... وقوة أعصاب.

– شكرا جزيلا على هذا الإطراء رغم أنى لا أستحقه!!

– دعك من المراوغة... إننى أود أن أنذرك بأننى وضعت حول الليدى شندلر من يسهر عليها ليل نهار.. فإذا حمت حولها.. فإن أعوانى سيلقون القبض عليك فورا... وإذا فقدت الليدى شيئا من مجوهراتها... فالويل لك سواء كنت أنت السارق أو لم تكن!!

فابتسم لوبين... وأضاءت الابتسامة وجهه الحاد التقاطيع.... ولمع في عينيه بريق خبث وسخرية وهو يقول:

– الحق أنك أثرت اهتمامى الآن يا عزيزي بيشو.

– لقد حذرتك وأنذرتك.

فاستطرد لوبين في برود يثير الغيظ:

– بل قل إنك فتحت عينى.. وأثرت جشعى... وهذا أخطر ما يفعله رجل البوليس... هل تريد قدحا من القهوة يا عزيزى؟

فـأجاب المقتش وهو على وشك أن يفقد أعصابه:

– كلا.... شكرا لك... سوف أدفع ثمن طعامى.

فهتف لوبين معاتبا: هل نسيت أننى أنا الذى دعوتك؟

فاستطرد بيشو في إصرار الغاضب الذى يوشك على الانفجار:

– قلت لك إننى سوف أدفع ثمن طعامى.. وأرجو أن تتمكن من دفع طعامك أيضا!! لقد حذرتك... فإياك والنسيان.

فأجاب لوبين في هدوء: كلا...تأكد أننى لن أنسى.

وما أن انصرف المفتش بيشو حتى أشعل لوبين لفافة تبغ... وراح يرتشف قهوته على مهل.

لم يشعر باستياء من غلظة بيشو وخشونته... فقد كان من الطبيعى أن يتصرف على هذا النحو... فهو لا يفرق عن غيره من رجال البوليس.. ويقع في مثل أخطائهم.

ومن أهم الأخطاء الشائعة بين رجال البوليس أنهم يحاولون تجنب

المتاعب بألوان من التحدى لا يستطيع مغامر يحترم نفسه أن يسكت عليها!!

والواقع أن لوبين قد جاء إلى هذا المطعم وهو خالى الذهن تماما من أية فكرة عن مجوهرات الليدى شندلر.... وعقدها الوردى البديع.

وقد كان من الخطأ أن يلفت بيشو نظره إلى هذه المجوهرات.. ويذكره بها.

وكان من الإمعان في الخطأ.. والتمادى فيه.. أن يقرن هذا التذكير بما يشبه التحدى... ويقاوم الإغراء... لو لم تدفع الأقدار في طريقه تلك الحسناء.. الفاتنة... ذات الشعر الذهبى.

لم ينظر لوبين إلى الفتاة مرة أخرى.. إلى أن جاء أحد خدم المطعم... وطلب من الليدى شندلر الرد على مكالمة تليفونية.. فغادرت مكانها على الفور... وعندئذ فقط التفت لوبين نحو الحسناء... ونظر إليها... والتقت عيناه بعينيها.

ولكنها لم تدهش أو تضطرب. بل ظلت على هدوءها. وغموضها.. ولم تلبث أن مدت يدها إلى علبة ثقاب كانت أمامها على المائدة... وكتبت عليها بضع كلمات بقلم من الرصاص أخرجته من حقيبتها.

وحول لوبين بصره عنها... وأشعل لفافة تبغ... ولم يظهر على وجهه شيء من الدهشة حين جاء أحد الخدم... ووضع علبة الثقاب

أمامه... تناول العلبة.. وقرأ عليها هذه الكلمات:

(٤٥ شارع مارسيه- شقة رقم ١٥- الطابق الرابع- الساعة العاشرة مساء).

عادت الليدى شندلر إلى مكانها بجوار الحسناء ذات الشعر الذهبى. فدفع لوبين حسابه. ووضع علبة الثقاب في جيبه. وغادر المطعم.

كانت الساعة لا تزال التاسعة والنصف... فأخذ يسير في الشوارع بغير هدف... لمجرد قتل الوقت.

لم تكن له حيلة فيما يصادفه من أحداث غريبة.. ومفاجآت عجيبة. كانت الأقدار حريصة دائما على أن تكون حياته كله سلسلة من المغامرات.

ووصل لوبين إلى شارع مارسيه

ودخل البيت رقم ٤٥.

واجتاز فناء مرصوفا بالحجارة...

وخيل إليه على الفور... أنه انتقل فجأة إلى مبنى يرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر.

كانت للبيت شرفات صغيرة.. ضيقة.

وكان السلم مضاء بنور خافت. ينقل الإنسان إلى جو من الغموض المثير.

ووصل لوبين إلى باب الشقة رقم ١٥.

ودق الجرس... وانتظر.

وبعد لحظات فتحت ذات الشعر الذهبى الباب بنفسها.

لم يستطع لوبين إخفاء نبرة السخرية من صوته... وهو يلقى عليها بالتحية قائلا: طاب مساؤك.

فأجابته في هدوء: طاب مساؤك.

وقادته إلى قاعة الاستقبال... وكانت تقع في مواجهة باب الشقة... ثم اتجهت نحو طاولة صغيرة عليها كؤوس وزجاجات.. وسألته:

- ماذا تحب أن تشرب؟

فأجابها مبتسما:

- أظن أن هذه أجمل مناسبة لتناول كأس من الشمبانيا.

فقدمت إليه الفتاة كأسا تناوله في عناية... وقربه من أنفه... ثم تذوقه فاحصا... ولمن يلبث أن قال لها:

- إن الشمبانيا من نوع جيد. إنك مازلت سليمة الذوق كعهدى بك.

ثم تأملها بنظرة الخبير المتمكن وقال:

- أظن أن شيئا واحدا فيك على الأقل قد تغير... عندما تقابلنا آخر

مرة كان اسمك هيلين توييد... فما الاسم الذى تنتحلينه لنفسك الآن؟

فأجابت دون أن يهتز لها هدب:

- ديانا دارون... وهو اسمى الحقيقى.

- إنه اسم جميل على كل حال... ولكن هل (دارون) هو اسم الرجل الذي رأيته معك عندما افترقنا بالقرب من قصر بول توييد.. عمك المزعوم في ذلك الوقت؟

فبدت الحيرة على وجهها.. ثم فطنت إلى ما يرمى إليه... فهتفت:

- تعنى أنه زوجى؟ كلا... كلا بالتأكيد.

- إذن فهو ليس مختبئا في الغرفة المجاورة لاغتنام أول فرصة لينقض على بخنجره... أو مسدسه؟

فضحكت وقالت: إننى لم أره منذ زمن طويل... لقد كنا مجرد شريكين في مغامرة... ثم انتهى الأمر.

فتذوق لوبين الشمبانيا مرة أخرى بعناية فائقة وسألها:

- هل أنت واثقة من أنك لم تضعى في هذا الكأس شيئا من السموم الشرقية التي كانت تستخدمها لوكربس بورجيا للتخلص من أعدائها؟

- إنك لست عدوى.

– هذا عجيب حقا. ان ما بدا من غدرك بى في المرة السابقة يتنافى مع.

فقاطعته قائلة: في ذلك الوقت أردت أن أخدعك.

– أو على الأصح أردت أن تجعلى منى مخلب قط للفوز بضالتك وكدت أقع في الفخ بسذاجة... وحسن نية.

– ولكن أنت الذى خدعتنى في النهاية... وكان ذلك من حقك... فقد كنت أنا البادئة بالخديعة..

فاعتدل لوبين في جلسته... وقال:

– هذا بديع... إذن فقد أرسلت إلى هذه الدعوة لكى نتصافح.. ونتعانق... ونصبح أصدقاء مرة أخرى.

فتورد وجهها قليلا... ولم تلبث أن قالت موضحة:

– عندما رأيتنى مع الليدى شندلر... أدركت في التو واللحظة... أن منافسة حادة ستقوم بينى وبينك عاجلا أو آجلا... فقررت أن أواجه الحقائق... وأصفى ما بيننا.

– هل ظننت أننى أنشد نفس الغنيمة؟

– إذا لم يكن الأمر كذلك... فأنت الآن تنشدها.

– وماذا تقترحين؟

– لماذا لا نوحد جهودنا... ونعمل يد واحدة؟

فتناول لوبين لفافة تبغ... أشعلها ببطء... ثم قال:

– هذه فكرة وجيهه...ولكنى أخشى أن تكونى قد نسيت أمرا.. كيف ستكون القسمة بيننا؟

– مناصفة طبعا.

– هنا نقطة الخلاف.

– يجب أن نقتسم الغنيمة مناصفة. وإذا خدعتنى. فاننى أخدعك.

فابتسم لوبين وقال:

– هذه ليست المسألة.. هل تذكرين عندما التقيت بك أول مرة... ومثلت دور فتاة في مأزق... فأسرعت لنجدتك.. وكشفت لك عن شخصيتى... وعرضت عليك خدماتى ومعونتى؟

– بالطبع أذكر... لقد أردت خداعك... فخدعتنى.

– ولكن لم احتفظ بالغنيمة كلها لنفسى.. لقد حسبت المبلغ الذى اغتصبه (بول توبد) من المخترع الشاب.. وأرسلته إليه. بعد خصم عمولة بسيطة.

فقلبت الفتاة شفتيها وقالت:

– لقد سمعت عنك حكايات بهذا المعنى.. ولكنى لم أصدقها.

– إنها حكايات صحيحة يا عزيزتى... ولك أن تصفينى بالجنون والحماقة. ولكن هذه هي طريقتى... ولنرجع الآن إلى موضوعنا... يبدو أن أثمن قطعة بين مجوهرات الليدى شندلر هي العقد الذى يجب- في رأيى- أن يوزع على الهنود المساكين الذين كان المهراجا يستعبدهم... ويمتص دمهم ليحيط نفسه بأسباب الترف والرفاهية.. فإذا تعاونت معى... فإننى على استعداد لأن أقدم لك عشرة في المائة من قيمة الغنيمة... ولا أكثر من ذلك.

وصمت لحظ. ثم استطرد: ليس في استطاعتك أن ترفضى. ثم تذكرى أمرا. وهو أنك إذا حاولت خداعى. فإنك (لن) تستطيعى ذلك.

فحدجته الفتاة بنظرة قوية... واضطرب صفاء عينيها قليلا... ثم أشرق وجهها بعد لحظة.. وقالت وعلى شفتيها ابتسامة.

إنك صعب المراس حقا.

– ألا أستطيع أن أجذبك إلى طريقى... ولو مرة واحدة؟

– إنك لم تدع لى فرصة للاختيار.

فضحك لوبين.. واقترب منها... وبسط يده لها... وهو يقول:

– اتفقنا إذن يا ديانا.

فوضعت يدها في يده.

وأحس لوبين... على الفور... بأن مصافحتها له... أشد زيفا من الابتسامة الخادعة التي ارتسمت على شفتيها.

كان على ثقة من أن المعركة بينهما قد بدأت في نفس اللحظة التي شدت فيها على يده!!

وشعر بأنها ستكون معركة عنيفة... هادئة... لن تتوانى فيها ديانا عن استخدام أي نوع من السلاح... وأية وسيلة من وسائل الخداع.

ولكن نظرته إليها لم تكن تقل (صراحة وبراءة) عن نظرتها إليه.

وقال لوبين في مرح:

– اتفقنا أيتها الشريكة.... فلنرى الآن ما هي خطتك؟

فأجابت ديانا:

– لقد قابلت الليدى في (مونت كارلو)... وتعرفت بها هناك... وعلمت أنها تريد قضاء بعض الوقت في (باريس) لرؤية معالمها... واتفقت معها على مرافقتها في زيارتها للعاصمة الفرنسية لأننى أدرى بكل ما يتعلق بشئون (باريس).

فغمغم لوبين قائلا:

– الحق أنك فتاة بارعة يا ديانا... ويسرنى أن نعمل سويا... ولكن بأية صفة تقدمت إليها؟

فابتسمت ديانا.. وأجابت:

– زعمت لها إننى مؤلفة. وإنني أبحث عن فكرة مبتكرة لقصة جديدة.

– كيف كانت خطتك؟

فصمتت لحظة ثم قالت:

– لقد أبديت لها إعجابى بالعقد الوردى. وكان من السهل أن تضعه بين يدى لأفحصه بإمعان. فتمكنت من أن أحصى حباته. وأن أطبع إحداها على قطعة من الشمع. ثم ذهبت إلى أحد مصانع اللآلئ الزائفة. وطلبت من المختصين فيه. أن يصنعوا لى عقدا يشبه العقد الوردى من جميع الوجوه. وها أنا الآن في انتظار إتمام صنع هذا العقد المزيف. وسيكون من السهل على بعد ذلك أن أبدله بالعقد الحقيقى.

فلم يستطع لوبين أن يكتم إعجابه وقال:

– يبدو أننى سأتعلم منك دروسا كثيرة.

فشكرته بإيماءة من رأسها ثم سألته:

- والآن... ما هي خطتك أنت؟

فأجابها ببساطة: الواقع يا عزيزتى أننى لم أضع أية خطة على الإطلاق فبهتت... ونظرت إليه غير مصدقة.

واستطرد لوبين: بل إننى لم أكن على علم بأن الليدى شندلر موجودة في (باريس) إلى أن أخبرنى ذلك الرجل الذى كان يتناول الطعام معى.. وأكثر من ذلك أنه تحدانى أن أسرق العقد... هل تعرفين من كان ذلك الرجل؟ إنه أحد مفتشى البوليس.

فبدت في عينى الفتاة نظرة تنم عن الخوف وصاحت:

- تبا لك.. تبا لك.

ولكنها تمالكت نفسها بسرعة. وضحكت ضحكة مقتضبة واستطردت:

- لماذا تجلب لى خيبة الأمل أيها الرجل؟

ونهضت من مقعدها...ومشت إلى النافذة.

فنهض بدوره... وتبعها في خمول... وسألها:

- وبهذه المناسبة... متى تتوقعين استلام العقد الزائف؟ ففكرت قليلا.. ثم قالت: ربما بعد غد.

وهنا أيقن لوبين بأنها تراوغه وتخدعه... ولكنه احتفظ بشكوكه

لنفسه.... ومد إليها يده بكأسه لتملأه مرة أخرى وهو يقول:

– لقد أخبرتك عن الرجل الذى كان يتناول الطعام معى. وقلت لك إنه مفتش البوليس. إنه المفتش بيشو. وأعتقد وأخرج بيشو يديه أخيرا. فإذا بين أصابعه خيطا طويلا كالخيط الذى توضع فيه حبات العقود!!

كان بيشو يرغب من صميم قلبه أن يهدم الشقة على من فيها.. ولكن ما الفائدة الآن؟ وما جدوى الغضب والعنف بعد أن اختفى (دليل الإثبات) بهذه الطريقة الشيطانية؟

إن ذوبان اللآلئ فى النبيذ حقيقة تاريخية لاشك فيها. ولا سبيل إلى فحصها.حتى لو هدم السقف فوق رأس لوبين. ورأس ديانا. ورؤوس رجال البويس السرى الذين أحضرهم معه لكى يستعيدوا العقد النادر.

لم ينتظر المفتش بيشو ليسمع أكثر من ذلك...فهرول نحو المطبخ.. ومد يده إلى غطاء الآنية.. وأحرق أصابعه مرتين قبل أن يتمكن من رفعه.. ثم تناول الآنية كلها.. وأفرغ محتوياتها في حوض المغسلة.

ولم يتمالك لوبين من الشعور بالشفقة... وهو يرى (صديقه اللدود) يفتح صنبور الماء البارد.. ويفتش بأصابعه في لهفة.

إنه من الخير لنا ألا يرانا معا.

وحانت منه التفاته نحو المطبخ... فخطرت له فكرة.

قال لها فجأة:

– آه... إن لم يكن في استطاعتنا تناول الطعام معا في الخارج حتى نكون في مأمن من أن يرانا بيشو أو غيره... فإننا نستطيع أن نتناوله معا هنا.. وسوف أجلب معى غدا بعض الطعام... وأعده بنفسى.. ولعلك لا تعلمى أننى من أمهر الطهاة في فرنسا.

ومضى لوبين بعد قليل... وهو أشد ما يكون تأكيدا من أنه يتعامل مع أفعى رقطاء لن تتردد في أن تلدغه متى سنحت لها الفرصة.

كان واثقا من أن هذه الفتاة من أخطر النساء اللائى عرفهن في حياته.

وإذا كانت قد وافقت على العرض الذى اقترحه عليها... فإنها فعلت ذلك على كره منها.. وتظاهرت بالموافقة والقبول.

وقد أحس لوبين بحاسته السادسة.. أنها تضمر له شرا.... وخيانه... إنما متى ستضرب ضربتها.. فذلك ما لم يكن يعلم به.

وذهب إلى منزلها بعد ظهر اليوم التالى... وبيده حقيبة فيها ما لذ... وطاب.. وقدمت إليه ديانا كأسا من الشراب.

وبدأ يفرغ الحقيبة في المطبخ... ويشمر عن ساعديه... ليبدأ العمل.

سألته في فضول:

– ماذا ستصنع من أنواع الطعام؟

فأجابها وهو يقشر البصل:

– سأعد حساء شهيا من ذيل الثور.. سأقلى البصل والجزر بالزبد.. وأضيف بعض الخضروات.. ثم أضع ذيل الثور في الآنية وأملأها بالنبيذ... وأترك كل ذلك على النار فترة من الوقت.

– ومتى يتم نضجه؟

– في المساء.. وسوف أحضر لقضاء سهرة هادئة نستعرض فيها خطتنا... وسأنتهز الفرصة فأزيل طبقة الدهن من الآنية في المساء... وأتركه إلى الغد حتى يبرد... ومن الأفضل أن تعطينى المفتاح إذ ربما أحضر قبلك.. وبهذه المناسبة.. هل حضر ساعى البريد؟

– كلا... إن الطرد الذى أنتظره لم يصل بعد:

ومرة أخرى أحس أنها تكذب... فقال ضاحكا:

– كم أتمنى أن تعرفينى جيدا على حقيقتى... لا كما تظنين وتتخيلين.

فرمقته بنظرة حادة وسألته: ماذا تعنى؟:

– أرجو أن تثقى بأننى لن أخدعك. لقد اتفقت معك. وأنا أحترم اتفاقاتى دائما. ولا أتراجع عنها إلا إذا كان الطرف الآخر هو البادئ.

فقالت في فتور: هذا أمر طبيعى.

وعندما هم بالذهاب أعطته مفتاح الشقة... وكان ذلك كافيا لإقناعه بأنه ليس من الضرورى تفتيش الشقة في غيابها!!

وكانت دهشة لوبين واضحة.. حين وصل إلى (مطعم آرنو) ظهر ذلك اليوم... فوجد المفتش بيشو يجلس أمام إحدى الموائد.

قال له بعد أن حياه: كنت واثقا من أن هذا المطعم سيعجبك... وإنك ستصبح من زبائنه الدائمين.

فتلاعبت على شفتى بيشو ابتسامة غامضة وأجاب:

- اجلس يا عزيزى... إننى لم أحضر لتناول الطعام... بل جئت لأتحدث إليك في موضوع خطير يمسك شخصيا.

فقطب لوبين حاجبيه... وهتف متسائلا:

- موضوع خطير يمسنى شخصيا؟!... ماذا تعنى بحق السماء؟!

فقال المفتش بيشو في تخابث:

- أرجو أن تكون قد قضيت ليلة طيبة.

فرد عليه لوبين في لهجة أشد خبثا:

- شكرا لك.. الجو بديع في الواقع حتى إننى أشعر بنشاط منقطع

النظير... وكأننى ابن العشرين.

فكشر بيشو عن أنيابه فجأة... وصاح في حدة:

– ألم أحذرك من الاقتراب حول الليدى شندلر... ألم أنصحك بأن تدعها وشأنها؟!

فازدادت دهشة لوبين.. وتزايد عجبه.. ورد محتجا:

– ومن قال لك إننى ضايقتها أو أزعجتها؟ هل الذنب ذنبى إذا كان هذا المطعم على مقربة من فندقها؟ وإذا كان...

فقاطعه المفتش بصوت كالرعد:

– إنما أعنى تلك الفتاة (ديانا دارون).... ماذا تطبخان معا؟

فأجاب لوبين... (وكان صادقا):

– حساء من ذيل الثور.

ولم يكن المفتش بيشو بالرجل الذى يحترم الإجابات الصادقة... وقد ظن– على الفور– أن لوبين يسخر منه...

فأمسك بساعده بيد كالفولاذ... وقال وقد خرج عن طوره تماما:

– اسمع يا هذا... إذا كنت قد كشفتك.. وأنذرتك.. فليس معنى ذلك أننى قد أديت واجبى... وتخليت عن القضية.. لقد وضعت

الليدى شندلر تحت رقابة صارمة... مشددة- كما ذكرت لك- وقد لاحظت أن تلك الفتاة (ديانا) تلازمها... ولا تكاد تفارقها... فتحريت عنها.. وبحثت في ماضيها... فوجدت أن لها تاريخا حافلا في عالم السرقات... وقد أرسلت أحد رجالى لمراقبتها... واقتفاء أثرها... ووصلنى اليوم تقرير عنها... وفيه أنك تتردد على هذه الفتاة.. وتقضى معها وقتا طويلا.

فأشعل لوبين لفافة تبغ وقال في هدوء:

- شكرا لك على هذه المعلومات القيمة. والواقع أننى لم أكن أعلم أن للفتاة تاريخا حافلا بالسرقات. لقد قابلتها في أحد المطاعم.. فدعتنى لزيارتها. وسأكون على حذر منها بعد الآن. فربما تنشل حافظة نقودى.

فتميز بيشو غيظا من لهجة لوبين وقال مهددا:

- هناك أمر يجب أن تفهمه جيدا.. وهو أنه من العبث تماما أن تظن أنك تستطيع أن تلمس بيدك قطعة واحدة من مجوهرات الليدى شندلر... إننى هنا يا عزيزى.. ولن أدعك تخدعنى بأى حال من الأحوال... والرأى عندى... إذا توخيت الحكمة... أن تلوذ بالفرار... ما دام عندك متسع من الوقت.

فقال لوبين متظاهرا بالرزانة والجدية:

– دعنى أفكر في ذلك يا بيشو.... أما الآن فإننى أحب أن أقول للفتاه إننا يجب أن نكف عن مقابلاتنا... والواقع أن رجلا في مثل مركزى... ووضعى الاجتماعى..

فقاطعه بيشو قائلا في سخرية... وتهكم:

– الواقع أن رجلا في مثل مركزك... ووضعك الاجتماعى... يجب أن يحزم أمتعته... ويغادر باريس غدا. قبل فوات الأوان.

– إذا كانت هذه رغبتك.. فيجب أن نتناول معا الآن طعام الوداع.

فنهض المفتش بيشو من مقعده وهو يكاد ينشق كمدا ودفع حسابه... وانصرف دون أن ينطق بكلمة واحدة.

فكر لوبين في الأمر... واستغرقته الخواطر.

ترى هل سيصارح بيشو الفتاة كما صارحه هو الآن؟ أم أنه سيذهب إلى الليدى شندلر.. ويحذرها من ذات الشعر الذهبى؟

وهل تعلم ديانا بالخطر الذى يهددها؟

وماذا تضمر في خبيئة نفسها؟

لقد كان متحفظا في زياراته لها... حريصا ألا يدع أحد يراه ويتعقبه.. أما الآن فإن بيشو أراحه من هذا العناء.. وأصبح في استطاعته أن يزور

الفتاة علانية.. وفى غير تحرج. متى يشاء.

ولهذا لم يهتم برجل البوليس السرى الذى تبعه وهو في طريقه إلى شارع مارسيه... فلم يحاول أن يخدعه أو يفلت منه... بل لقد رأى من اللباقة وحسن السلوك أن يتحول إلى الرجل...حين دخل البيت.. ويلوح له بيده مودعا!!

وما أن وصل لوبين إلى شقة ديانا حتى أطل من النافذة خلسة.. فرأى الرجل الذى كان يتعقبه وهو يتحدث إلى زميل له كان رابضا في الظلام... ولم يلبث هذا الأخير أن ابتعد... وترك الأول في مكانه.

وانتقل لوبين إلى قاعة الاستقبال... وأطل من نافذتها المطلة على الشارع الخلفى.. الضيق.

وكان الظلام حالكا في هذا الشارع... ولكنه استطاع أن يتبين شبحا يروح ويغدو في هدوء وانتظام كما يفعل الحراس.

أضاء لوبين النور في المطبخ.. ورفع آنية الطعام..

وأضاف إليها مزيدا من النبيذ.. وأشعل نار الموقد... ثم عاد إلى غرفة الاستقبال وهو يترنم بإحدى الأغنيات الشارعة.

كان البيت محاصر محكما... يحيط به أعوان بيشو إحاطة السوار بالمعصم.. ولا يستطيع- سوى فأر هزيل- أن يدخل إليه أو يخرج

منه... دون أن يراه رجال البوليس السرى.

وأحس لوبين بذلك القلق الجارف الذى يشعر به من يسقط فجأة فى فخ شديد الإحكام... لا مهرب منه... ولا مخرج له.

وكان السؤال الذى خطر بباله.. وسيطر على تفكيره هو:

لمن نصب المفتش بيشو هذا الفخ... ولماذا؟

وقبل منتصف الليل بقليل عادت ديانا.

وسمع لوبين وقع خطواتها السريعة على أحجار الشارع.

ولكنه لم يتناول كأسه. ويملأه بالنبيذ. إلا حينما سمع حركة المفتاح في قفل الباب.

ودخلت ديانا الفاتنة كنسمة من نسمات الربيع... وانبعث فى الغرفة شذى عطرها الفواح.

هتفت في مرح: أنت هنا... أرجو ألا تكون قد انتظرت طويلا:

وكانت في صوتها رنة سرور... وابتهاج.

وأجاب لوبين في هدوء: نعم... إننى هنا منذ ساعة.

ثم استطرد دون أن ينظر إليها:

- إن للباب مزلاجا من الداخل... فأحكمى غلقه.

ولما سمع حركة المزلاج. رفع رأسه.. وقدم للفتاة كأسا وهو يقول:

- هي ذي كأسك.

فتناولت الكأس... وابتسمت.

كانت متوردة الوجنتين.. لامعة العينين بفعل برودة هواء الليل.

قال لها فجأة: إن الوقت ضيق.. ويجب ألا نضيع دقيقة واحدة.

فهتفت في دهشة: لماذا؟! ماذا حدث؟!

فأجابها بصراحة ودون مواربة:

- لقد افتضح أمرنا... ورجال البوليس في أثرنا.. بعد أن استرابوا في علاقتك بالليدى شندلر... وعرفوا كل شيء عنك... لقد صارحنى المفتش بيشو بكل شيء... وهذا البيت مراقب الآن من كل جانب... وإذا كنت في شك من ذلك... فانظرى بنفسك من النوافذ.

فقالت وقد هزتها المفاجأة: إننى أصدقك...ولكن... لماذا؟

فأجابها ببساطة: لأن بيشو يريد اعتقالنا والجواهر معنا.

كانت رمية مقصودة من لوبين... ظهر رد فعلها على الفور في الحركة اللاإرادية التي أطبقت بها أصابع ديانا على حقيبتها.

وكان في هذه الحركة الكفاية.. بالنسبة إلى لوبين.

قال لها: اعلم أنك تسلمت العقد المزيف اليوم. واستبدلته بالعقد الحقيقى. ولكنك فعلت ذلك دون علمى. وبذلك نكصت الاتفاق المبرم بيننا.

فهتفت قائلة في اضطراب:

– كلا... كلا... هذا غير صحيح.

وفى هذه اللحظة سمعا وقع أقدام ثقيلة تصعد السلم.

واستطرد لوبين:

– لقد كانوا يراقبونك طوال الوقت... ويتعقبونك طول الطريق.. إنهم على ثقة من أن العقد معك.. ولم تتخلصى منه بعد.. إنهم يعرفون أنه معك هنا.. وإنك لا تستطعين الإفلات... فماذا في نيتك أن تفعلى؟ هل ستقذفين به من النافذة؟ إن البيت مراقب من كل اتجاه... محاصر من كل ناحية.

هل تفكرين فى إخفائه؟ إنهم سيبحثون عنه. ويهدمون البيت حجرا على حجر.. إذا اقتضى الأمر.إنك في فخ شديد الخطر.. بالغ الإحكام.

فغمغمت في تخاذل: يا إلهى....

وفى نفس اللحظة سمعا قرعا متواصلا على الباب.

قال لوبين:

– على رسلك أيتها العزيزة.. لقد أضعت فرصتك... أعطنى حقيبتك بسرعة.

فهتفت في عصبية: كلا.. كلا.

فرد عليها بحدة:

– أيتها الحمقاء. ماذا سيكون مصيرك بعد عشرة أعوام في السجن؟

وانتزع الحقيبة من يدها عنوة.. وقال لها بلهجة الأمر.

افتحى الباب.

وأسرع إلى المطبخ.

دخل المفتش بيشو في هدوء... وبغير تعجل.

كان يمشى ببطء مشية الواثق.. المعتد بنفسه.. الذى يشعر بأن القانون معه.. والدليل في يده.. وسلطة الحكومة تحت تصرفه.. وليس ثمة ما يضطره إلى الإسراع.. والاندفاع.

قال في رزانة ووقار:

– إننى من إدارة البوليس يا آنسة دارون... ولا شك أن (زميلك) قد حدثك عنى... يؤسفنى أن أضايقك قليلا....

فقد جئت بشأن عقد الليدى شندلر.

فأجابت وهى تتظاهر بالسذاجة:

– لست أفهم يا سيدى عم تتحدث.

فقال في رفق:

– من الطبيعى أن تقولى هذا... ومهما يكن من الأمر.. فإن العقد لم يخرج من هذا المنزل بعد دخولك بأى حال من الأحوال.. ولا أعتقد أنه طار من النافذة.. ويمكننا أن نتحقق من ذلك.

وعبر البهو إلى قاعة الاستقبال.. وفتح نافذتها.. وأرسل من فمه صفيرا خاصا.

واختار لوبين هذه اللحظة بالذات للخروج من المطبخ.. وهو يهتف في مرح:

– أهذا أنت يا بيشو؟ ماذا تفعل هنا؟ هل تقوم بتمثيل مسرحية (روميو وجوليت) لحساب إدارة البوليس السرى.

ولوح بيشو بيده من النافذة لشخص قابع في الظلام عند أقصى الشارع... ثم تحول عن النافذة على مهل.. وقال في لهجة هادئة:

– آه... كنت أعلم أنك هنا طبعا.

وحدق ببصره في الحقيقة المتدلية من يد لوبين... وقال:

– لقد وفرت علينا كثيرا من المتاعب... أرجو المعذرة.

وسحب الحقيبة من يد لوبين.. وفتحها بسرعة.. وبعثر محتوياتها على الطاولة القريبة منه.

وصاح لوبين محتجا:

– هل تتفضل فتوضح لى معنى هذه التصرفات الطائشة؟!

فأجاب بيشو وهو مقطب الجبين:

– حسنا. سأوضح لك كل شيء... ولكن أخبرنى... أين أخفيته؟

– ماذا تعنى بحق الشيطان؟

– أنت تعرف ما أعنى... أين العقد.. عقد ليدى شندلر؟

فقالت ديانا:

– عندما رأيته آخر مرة كان على صدر الليدى.

فرد بيشو وهو يضغط على أسنانه:

– إننى أعمل في مواعيد منتظمة يا آنسة.. ووقتى ليس ملكى... ولا أريد أن أقضى الليلة كله هنا... وبهذه المناسبة أحب أن أقول لك إننى تحدثت إلى الليدى شندلر طويلا قبل أن تجتمعى بها هذا المساء..

وقد اتفقت معها على أن تعطى أحد رجالى إشارة خاصة إذا لاحظت خلال السهرة أنك تصرين على فحص العقد لأي سبب.

وقد أعطت الليدى هذه الإشارة وهى تودعك.. وعندى من الأسباب ما يحملنى على الاعتقاد بأنك انتهزت فرصة وجود العقد بين يديك فاستبدلتيه بعقد آخر زائف... وإننى على ثقة بأن العقد الحقيقى هنا... في هذه الشقة.. وما دام هنا فلا بد أن نجده... فإذا قدمه أحدكما إلى... ووفر على متاعب البحث والتنقيب... فإننى لن أكون من القسوة كما تظنان.

فقال لوبين: هل تعنى أننا في هذه الحالة لن نقضى عشرة أعوام في ظلام السجون.

– ربما... من يدرى؟

فأشعل لوبين لفافة تبغ.. واستطرد:

– لقد كنت طوال حياتى ممن ينفرون من الظلام والأشغال الشاقة.

ثم نظر نحو ديانا... وتابع حديثة قائلا:

– ولا شك أن هذه الأيدى الناعمة لم تخلق كذلك لممارسة الأشغال الشاقة... والواقع أننى لا أظن أن كل ما في الدنيا من لآلئ ومجوهرات.. تستحق– سيما إذا لم يكن فى نية الإنسان الاحتفاظ بها– أن يضحى في

سبيلها بحريته ولو ساعة واحدة... فكيف بالسنين الطويلة؟!

فصاح المفتش بيشو وهو يتميز غيظا وغضبا:

– كفى هذرا.. ألا تدرك أنك في ورطة لن تخرج منها؟

فأجابة لوبين في برود.

– لن أتأكد من ذلك.. حتى تثبته لى بالدليل والبرهان وبعد فإن الحقائق في منتهى البساطة... لنفترض أن الآنسة ديانا استبدلت العقد كما تزعم... وأن أحد الخبراء قرر غدا أن العقد الذى تتحلى به الليدى شندلر هو عقد زائف... فهل تستطيع الليدى أن تثبت أن أحدا لم يمس العقد أبدا من قبل؟ إن عملية الاستبدال يحتمل أن تكون قد تمت في أي وقت... وأى مكان.... وبواسطة أي إنسان... بل وبواسطة المهراجا نفسه الذى باع العقد... فماذا لديك أنت من الأدلة ضد ديانا أيها المفتش العبقرى؟ لا شيء... لا شيء على الإطلاق... إن الدليل الوحيد هو أن تجد العقد الوردى في حوزتها... وهذا ما لن تستطيعه أبدا!!! فصرح بيشو بصوت كعواء الذئاب.

– هل لا أستطيع حقا؟ حسنا... إننى سأعثر عليه حتى لو هدمت هذا البيت... ونسفت جدرانه.. وجعلته أنقاضا وحطاما.

– حتى لو فعلت ذلك.. فإنك لن تجد العقد.

قال لوبين ذلك بلهجة المطمئن... الواثق.. المتأكد تماما مما يقوله... فمرت بجسد المفتش بيشو رعشة فضحها ارتجاف صوته... حين ردد في قلق بالغ... وعصبية واضحة.

– وكيف يمكن ذلك؟!

فتناول لوبين زجاجة من النبيذ.. وملأ كأسه.. وأجاب وعلى شفتيه ابتسامة هادئة:

– إن مصيبتك يا عزيزى بيشوهى أنك لا تهتم بما يقال لك.

ولا تضغى إلى من ينصحك... وإذا أصغيت... فإنك تنسى ما سمعت... هل تذكر ما قلت لك منذ يومين عندما تناولنا الطعام معا؟ لقد تحدثنا في أمور كثيرة... فكان شعورك...وأنت تصغى إلى... هو أننى رجل ثرثار... أهرف بما لا أعرف... في حين أننى كنت طوال الوقت أحاول أن أفهمك بأن الذين يعملون في مهنتنا يجب ألا يفوتهم معرفة شيء... وعندما قلت لك صباح اليوم إننى وديانا نصنع حساء من ذيل الثور يمزج عادة بالنبيذ..

فرفع بيشو رأسه... ولمعت عيناه ببريق الفهم.. ونوع الإدراك.

واستطرد لوبين:

– وقد كان بوسعك... حين دخلت هنا... أن تذكر الحقائق التي

سردتها لك أثناء الطعام اللآلئ التي تذوب في النبيذ... وكيف أذابت (كيلوباترا) ملكة مصر مجموعة ثمينة من اللآلئ في كأس من النبيذ قدمته إلى قيصر.

فهتفت ديانا بصوت يشبه الأنين: يا إلهى... أحقا ما تقول؟

فأجاب لوبين في حزن وأسى:

– نعم... كان يتعين على أن أفعل ذلك للأسف الشديد... إن الذى استطاعت (كليوباترا) أن تفعله... قد فعلت أنا خيرا منه.. من أجلك يا ديانا... من أجل إنقاذك... لم يكن أمامى إلا هذه الوسيلة لكى أتخلص من (دليل الإثبات) الوحيد!!

وقال لوبين أخيرا بصوت رقيق:

– إن لدى اقتراحا يشق على أن أقترحه على مفتش بوليس محترم مثلك... ولكنى أرى في سبيل المحافظة على مركزك وكرامتك ووظيفتك.. أن تدع الليدى شندلر على جهلها.. فلا تجعلها تشعر بأن عقدها قد استبدل... بل يمكنك... بشيء من اللباقة والكياسة.. أن تقنعها بأنك أدخلت الذعر في قلوب اللصوص... فلاذوا بالفرار... ولن يزعجوها بعد الآن... ومن يدرى... فقد تنقضى عشرات السنين قبل أن تكتشف الليدى أن عقدها قد استبدل... ويومئذ سيكون من

المتعذر عليها أن تثبت أن الاستبدال تم في باريس.

فرمقه بيشو شذرا... ثم قال وهو يكاد ينشق غيظا.

– أقسم بكل مقدس إننى إذا رأيت أحدكما في هذه المدينة غدا... صباحا... فإننى لن أتردد في أن أدبر له تهمة قتل مع سبق الإصرار.

ثم دار على عقبيه... وانصرف مسرعا.. بعد أن أغلق الباب خلفه بصوت ارتجت له الجدران.

نظر لوبين إلى ديانا... وقال لها بعد انصراف بيشو:

– لم يكن هناك سبيل لأن أفعل غير ما فعلت.. ولكنى أرجو أن تكونى قد تعلمت درسا في الصراحة.. والوفاء... وبهذه المناسبة.. هل ترافقينى إلى نزهة في الخلاء؟

فقالت في مزيج من الغضب والإعجاب:

– إن كل ما أرجوه هو ألا أجد نفسى معك في مكان واحد بعد الآن.

وفكر لوبين في أمرها.

إنه لمما يؤسف له حقا أن تكون بهذا الجمال.. وهذا الدهاء... وأن تكون مطبوعة على الغدر والخيانة على هذا النحو.

ومما يؤسف له أكثر من ذلك... أنه كلف نفسه كل هذا العناء لكى

يعلم شخصين اثنين... لا ثالث لهما.. بعض المعلومات العامة التي لا أصل لها!!

ولو أن بيشو... وديانا كانا على شيء من سعة الاطلاع.. لعلما أن حكاية اللآلئ التي تذوب في النبيذ ليست سوى خرافة... لا أساس لها من الصحة... حتى أن التجارب العلمية نفتها نفيا قاطعا.

وسره حقا... وهو يقود سيارته إلى الضواحى... أن يضع يده في جيبه... من وقت إلى آخر... لينعم بلمس اللآلئ الوردية الناعمة لعقد ليدى شندلر النادر الشهير!!

الخدعة الكبرى

وصل أرسين لوبين إلى «مقهى بيبول» في الساعة السادسة من مساء يوم من أيام الصيف بعد عودته من «لندن».. عقب مغامرته المعروفة التي استولى فيها على عقد الليدي شندلر.

واختار مائدة تطل على الشارع.. وجلس في تكاسل وخمول يرقب الناس والسيارات في تأمل واستمتاع.

وبدأ رواد المقهى يتزايدون.. ويحتلون المقاعد حتى ازدحم المكان بهم على سعته.

وفي حوالي الساعة السادسة والنصف وصل رجل قصير القامة.. أنيق المظهر.. يضع نظارات سوداء على عينيه.. وجلس أمام المنضدة المجاورة لكرسي لوبين.. وطلب من ساقي المقهى أن يأتيه بقدح من

البيرة.. وبعض الشطائر.

* * *

تفرس لوبين في وجه الرجل قليلا.. ثم عاد إلى تأملاته.. ولم يلبث أن وقع بصره على فتاة بارعة الجمال.. شديدة الجاذبية.. أنيقة الثياب كانت تستند إلى سيارتها الفخمة.. وتتحدث مع أحد معارفها.. فأطال النظر إليها.. وقد بدت على وجهه علامات الإعجاب الشديد.

* * *

وراقب الرجل القصير القامة وجه لوبين الناطق بآيات التقدير والإعجاب.. ثم أرسل بصره إلى المرأة التي نالت هذا التقدير.. وحظت بهذا الإعجاب.. وما لبث أن مال فوق المنضدة وقال في هدوء تام:

- دعنى أشاطرك الإعجاب بهذه السيدة الحسناء.. فهى.. والحق يقال.. ذات وجه ساحر.. وقوام بديع.. وجاذبية خلابة يطيش لها الصواب.. أليس كذلك يا مسيو لوبين؟

* * *

التفت لوبين إلى الرجل. وتأمله بإمعان. ولكنه لم يذكر أن له به سابق معرفة.. ومع ذلك فقد ابتسم ابتسامة رقيقة وقال له بغير اكتراث.

– إنى أشاركك هذا الرأي يا سيدي.. ولكني لست مسيو لوبين.. إنى أدعى بيير لاروش.. وأنا معروف في أوساط «باريس».. ويسعدني أن أكون في خدمتك دائما.

* * *

ابتسم الرجل القصر ابتسامة عريضة.. وقال بسرور واضح:

– لعلك تسمح لى بعدم الموافقة على ما تقوله.. فأنت أرسين لوبين بالتأكيد.. لأنك الرجل الوحيد الذي إذا رآه المرء مرة واحدة لا ينساه أبدا.

* * *

وأخرج الرجل من جيبه علبة صغيرة ذهبية قدم منها لفافة تبغ إلى لوبين.. ثم قال:

– لقد قرأت أخبار نضالك مع المفتش جاينمار منذ سنوات مضت.. لقد كاد أن ينجح في القبض عليك.. أليس كذلك يا مسيو لوبين؟

* * *

ابتسم لوبين.. وأشعل لفافة.. وهز كتفيه استخفافا.. ثم أجاب الرجل قائلا: نعم يا سيدي.. إننى لازلت أذكر كل هذه الحوادث.. فقد قرأت تفاصيلها في الصحف.. كما قرأتها أنت.

فاستطرد محدثه يقول في صوت منخفض:

- إننى أدعى بيار روفيه.. أحد أصحاب «محلات بيار روفيه للمجوهرات» في «شارع مارتينيز».. وإنى مثلك كثير الاهتمام بالأحجار الكريمة.. والجواهر النادرة.. حتى ولو كانت مسروقة!!

* * *

ازدادت ابتسامة لوبين اتساعا.

ما أعجب الأقدار.

إنها تضع في طريقه دائما كل غريب وعجيب.. وتأبى عليه الهدوء والراحة.. بل تخلق له المغامرات خلقا.. ثم تدفعه إليها دفعا.. فإذا هو بين نارين.. نار الخطر.. ونار القدر.

هكذا كانت حياته.. وهكذا ستكون.

فلتكن إذن مشيئة الأقدار.

* * *

واستطرد الرجل القصير حديثه قائلا:

- ما أعجب هذه الدنيا.. لقد خطرت لى فكرة بديعة في ذات اللحظة التي كنت تنظر فيها بإعجاب إلى تلك السيدة الجميلة.

فسأله لوبين في هدوء:

– وما هي «الفكرة البديعة» التي خطرت ببالك؟ وما صلتها بى؟

فقال الرجل في حماس: هل تعرف الكونت سدى جوفنيل؟

– لم أسمع عنها بعد.

– إنها زوجة رجل شديد الثراء.. يكبرها بثلاثين سنة على الأقل.. وقد تزوجته بالتأكيد من أجل أمواله الوفيرة.. وثرائه العظيم.

– يا لها من امرأة.

– نعم.. صدقت.. إنها شديدة الذكاء. بالغة الطموح.. وقد تعرفت عليها.. وأعجبتني شخصيتها. وكثيرا ما كلفتني بشراء مجموعات كبيرة من الأحجار الكريمة.. وكنت في بعض الأحيان أعود فأشترى بعض هذه المجموعات منها.. أو من بعض الذين كانت تهديهم هذه الجواهر.. أو من الذين كانوا يسرقونها من غرفتها أثناء زيارتهم لها.

ولاذ تاجر المجوهرات بالصمت قليلا ليمعن النظر في وجه لوبين.. فلما لم يجده كثير الاهتمام بما يحدثه به.. مضى يقول:

– لقد اتصلت بى الكونتس بالتليفون صباح اليوم.. وسألتنى أن أقرضها خمسين ألف فرانك.. ولكنى اعتذرت.. وإن كنت أعتقد أننا

لو تعاونا معا بصدق وإخلاص.. إذن لأمكننا العثور على وسيلة تمكن الكونتس من الحصول على المال اللازم لها.. وفي نفس الوقت نستطيع أن نحصل على مبالغ أخرى لنا.

ومال تاجر المجوهرات على المنضدة وسأل لوبين بصوت خافت:

– ألم تسمع «بمجموعة جواهر جوفنيل»؟ ألم تفكر في الاهتمام بها؟

* * *

وتطلع لوبين في وجه محدثه في دهشة واستغراب ثم أجابه.

– يبدو أنكم تعانون بعض الكساد في بيع اللآلئ والمجوهرات هذه الأيام لدرجة أنكم تفكرون بمثل هذه الطرق الملتوية للحصول على المال.. ومهما يكن من الأمر.. فقد تذكرت الآن أنى سمعت من قبل بمجموعة جواهر جوفنيل.. وإنها.. بالتأكيد.. مجموعة تثير الاهتمام.. ما في ذلك شك.

فابتسم تاجر المجوهرات في ارتياح وقال: لا ريب أن القدر هو الذي دبر هذا اللقاء بيننا.. بل هذه الفرصة السعيدة.

ثم انتصب واقفا وهو يقول:

– ما رأيك في تناول طعام العشاء على مائدتى؟

فوافق لوبين.. وأحنى رأسه شاكرا.

وهكذا بدأت المغامرة الجديدة.

* * *

جلس الرجلان يتحدثان في ركن أحد المطاعم الفاخرة.

قال تاجر المجوهرات:

- لنبحث موقف الكونتس جوفنيل.. إنها جميلة.. وفي ريعان الصبا.. تهوى المغامرات.. وتقدم عليها بشغف عظيم.. ومع أن زوجها لا يعطيها الكثير من المال إلا أنه يغدق عليها الجواهر الرائعة الثمينة بغير حساب.. وهو رجل شديد الغيرة.. يقضي وقته في تصريف شئونه.. ويترك زوجته وحدها.. فتلجأ إلى المعارف والأصدقاء بحثا عن التسلية والترويح عن النفس.

وأمسك مسيو روفيه عن الكلام قليلا ثم استطرد:

- ومادام الموقف كما وصفته لك.. فما رأيك في النتائج التي سوف يتمخض عنها بخله.. وشحه.. وتقتيره على زوجته؟

إن الجواب واضح بالتأكيد.. فكلما احتاجت الكونتس إلى مبلغ من المال جاءتني بقطعة من الجواهر لبيعها.. ولا أكتمك إني اشتريت

منها.. حتى الآن. كمية كبيرة.. بأبخس الأسعار.

فسأله لوبين: وما هو رأى الكونت؟

فضحك مسيو روفيه وأجاب:

- إنه لا يعرف الحقيقة حتى الآن وكلما اختفت قطعة من المجوهرات قالت الكونتس لزوجها إنها فقدتها ولما كان يعرف إهمالها.. ونسيانها.. فإنه يصدقها دائما.. بل ويبادر إلى تعويضها بقطعة ثمينة أخرى.

- هذا عجيب حقا.

- هل تعلم أن هذا الكونت الغبى قد اشترى حلية معينة أربع مرات دون أن يشك فيها.. أو يفطن إلى أمرها.

فابتسم لوبين.

كان يعرف هذا النوع من الرجال.

واسترسل تاجر المجوهرات قائلا:

- والواقع أن «مجموعة مجوهرات جوفنيل» تعتبر من أنفس المجموعات في العالم.. وأكثرها روعة.. وأغلاها قيمة.. ولكن الشركات ترفض التأمين عليها.. وعلى جواهر الكونتس بصفة خاصة.. بعد أن شاعت الأخبار عن تبذيرها. وإهمالها.. وعدم مبالاتها.

ويقال إن ثمن المجموعة لا يقل عن ربع مليون من الفرنكات الذهبية.. وأن الكونتس تحتفظ بها في صندوق من الصينى تضعه على منضدة في غرفة نومها بمنزلها الذي يقع في «شارع سان جرمان» بإزاء منزل صديق لى يدعى المسيو مارتيل.

وسأله لوبين في فضول:

– وما الذي تريد منى عمله؟

– لقد سألتنى الكونتس قرضا بخمسين ألف فرانك كما أخبرتك.. وكان جوابي أن لا مانع عندي من تقديم هذا المبلغ على شرط واحد.. هو أن تسلمنى «مجموعة المجوهرات» لأحتفظ بها كرهينة لحين سداد المبلغ.. ولكنها رفضت بغضب.. وكأنه لا يحق لى أن أحافظ على أموالى.. وأن أتخذ الاحتياطات اللازمة أمام إهمالها.. ونزواتها.. كما تفعل شركات التأمين في مثل هذه الحالات.

وابتسم مسيو روفيه تاجر المجوهرات ابتسامة ذات مغزى واسترسل يقول: الرأى عندي أن تذهب على الفور لزيارة صديقي المسيو مارتيل.. فهو يتوقع مثل هذه الزيارة بين لحظة وأخرى.. والمعروف أنك رجل بارع.. شديد المهارة.. لا تعوق طريقك الخزائن.. ولا الأبواب.. ولا النوافذ المغلقة.. والأمر هين.. ميسور بعد ذلك..

فما هي إلا قفزة جريئة من نافذة غرفة المسيو مارتيل حتى تجد نفسك في شرفة منزل الكونتس.

ولما كانت الكونتس قد اعتادت أن لا تغلق نافذة مخدعها.. فلن تحتاج بعد هذا إلا إلى التسلل بحذر إلى الداخل.

* * *

وصمت تاجر المجوهرات لحظة.. وراح ينعم النظر في وجه لوبين ليرى تأثير كلامه عليه.. ومدى اقتناعه به.

ولكن لوبين ظل هادئا.. جامدا.. لا ينم وجهه عن شيء.. فهز الرجل رأسه.. ومضى يقول:

– الخطة.. كما ترى.. بسيطة.. محدودة.. لا تحتاج إلى تعب وعناء.. فإذا ما استوليت على الجواهر.. وجئتنى بها.. أعطيتك مائة ألف فرنك ذهبا.

وبدا على لوبين أنه سيقول شيئا.. ولكن مسيو روفيه تابع حديثه قائلا: ومتى حصلت على هذه المجموعة.. فإنى سوف اتصل بالكونتس.. وأخبرها بأنى على استعداد لإقراضها ما طلبته مقابل إيصال بالمبلغ.. فما رأيك فيما عرضته عليك؟

فسأله لوبين: وإذا عرف الكونت بالسرقة؟

– إنه لن يعرف بها.. فقد طلب من زوجته.. وألح عليها أن تودع مجموعة الجواهر في أحد البنوك.. ولكنها لم تفعل حتى الآن.. ولا تزال تحتفظ بالمجوهرات في منزلها.

– ألا تعرف السبب؟

– في استطاعتي الجواب على سؤالك عن طريق الاستنتاج.. وليس على أساس اعتقاد جازم.. إن الكونتس مولعة بشاب سيء السمعة والأخلاق.. وقد اتصلت بى منذ أيام.. وسألتني إذا كان في مقدوري أن أصنع لها مجموعة مزيفة لجواهرها الشهيرة.. فلما سألتها عن السبب ردت على بإجابة ملتوية لم أفهم منها شيئا؟

ولكنى لا أكتمك إنى أشك في الأمر.. وأترك لك مهمة تخمين موقفها.. أو تفسيره بطريقتك الخاصة.

– لعلك تعتقد أنها تريد أن تعطى هذه المجموعة إلى عشيقها.. على أن تحتفظ بالمجموعة المزيفة مكانها.. فإذا حصلنا نحن على المجموعة الأصلية.. لم يكن في هذا ما يبدل جوهر الموقف إلا من حيث حرمان العشيق الفاسد من الحصول على المجوهرات الأصلية.

– هذا ما أعتقده فعلا.. فما رأيك أنت؟

– سوف أجرب حظى.

وصمت لوبين لحظة.. ثم قال بعد أن تناول رشفة من قدح القهوة:

– سأحصل على مجموعة المجوهرات غدا صباحا.. فمتى.. وكيف تريد منى أن أسلمها إليك؟ ومتى.. وكيف ستدفع المبلغ الذي اتفقنا عليه؟ إننى سأغادر «باريس» في الساعة الحادية عشرة من صباح الغد.. فكيف نبرم هذه الصفقة قبل هذا الموعد؟

فأطرق تاجر المجوهرات برأسه مفكرا.. ثم قال:

– سوف أرسل لك المبلغ الذي اتفقنا عليه إلى منزلك في الساعة العاشرة من صباح الغد.. ومتى استلمت المبلغ من الرجل الذي سوف أرسله إليك.. فعليك تسليمه المجموعة التي أرجو من باب الاحتياط أن تلفها في لفافة عادية لا تثير الاهتمام.. فهل توافق على هذه الإجراءات؟

– كل الموافقة.

* * *

وفي الثالثة صباحا.. تسلل لوبين إلى غرفة المسيو مارتيل.. صديق تاجر المجوهرات. ثم وثب في الهواء. فاستقر في شرفة الكونتس الخلفية. وتريث قليلا.. وأرهف أذنيه.

كان الهدوء تاما.. والسكون شاملا.

وقف مكانه لحظة.. ثم تقدم بحذر من الباب.. خطوة بخطوة.. حتى اطمأن تماما.. فخطا إلى داخل الغرفة.

وما أن أزاح الستار جانبا حتى شاهد الكونتس مستلقية على فراشها.. وهي مستغرقة في النوم.. وعلى شفتيها ابتسامة عذبة.. هادئة.. وكأنما هي في دوامة من الأحلام.

* * *

كانت هذه المرة الأولى التي يشاهد فيها الكونتس جوفنيل.

تأملها مفكرا.. وشعر بأن وجهها – رغم بعض الاختلافات التجميلية – من الوجوه المألوفة التي يعرفها حق المعرفة.

أمعن النظر في ملامحها مرة أخرى بحرص وعناية.. وحاول أن يتذكر.

وعلى حين بغته عرفها.

وكادت أن تفلت من فمه صيحة ودهشة.. وعجب.

* * *

لم تكن الكونتس جوفنيل إلا غريمته الأفاقة الحسناء.. ذات الشعر الذهبي.. ديانا داورن.. أو مارى توبد.. أو غير ذلك من الأسماء التي

تنتحلها تلك الشيطانة الصغيرة التي حاولت خداعه أكثر من مرة.. وكادت أن تظفر.. في محاولتها الأخيرة معه.. بعقد الليدى شندلر.. لولا أن تدارك الموقف ببراعته المعهودة في آخر لحظة.

* * *

ولم يتمالك لوبين من الابتسام.

لا شك أن الشقية قد أوقعت الكونت جوفنيل العجوز في شباكها.. وسعت إلى الزواج منه بهدف الاستيلاء على ثروته.. ومجوهراته.. ولابد أنها رسمت خطتها بدقة وإحكام.. حتى إذا ما حققت غرضها.. ونالت مرادها.. لاذت بالفرار.. واختفت عن الأنظار.. لكي تظهر من جديد في شخصية أخرى من شخصياتها العديدة.. الزائفة.

* * *

وتقدم لوبين إلى الغرفة بخطى وئيدة.. ثابتة.

واقترب من درج المنضدة التي تضع فيه «الكونتس» حليها.. ومجوهراتها.

وفتح الدرج بمفتاح خاص.. فوجد صندوقا من الصيني.. بديع الصنع.. رائع النقوش.. ففتحه بمفتاح صغير أعطاه له تاجر المجوهرات مسيو روفية.. واتسعت عيناه عجبا.. وإعجابا.

رأى أمامه «مجموعة جواهر جوفنيل» تتألق بآلاف الأضواء.. كأنها شعلة من نار.

* * *

ولم يتردد.

أخرج الجواهر من الصندوق.. ووضعها في جيوبه.. ثم أغلق الصندوق.. وأعاده إلى مكانه.

وخطا نحو الشرفة.. وهو يتلفت حوله في حذر بالغ.

وفجأة.. خطر له خاطر جديد في هذه اللحظة.. فعاد أدراجه.. وأرسل بصره داخل الغرفة من خلال ستائرها.. ثم جلس على أرض الشرفة.. وظل في مكانه.. حتى دقت الساعة الرابعة صباحا.

* * *

وفي صباح اليوم التالي.. وصل رسول مسيو روفيه في تمام الساعة العاشرة.. إلى مسكن لوبين.. وسلمه ظرفا معنونا باسم «المسيو بيير لاروش».. فقدم له لوبين طردا صغيرا.. ملفوفا بورقة عادية.

وما أن انصرف الرسول.. حتى غادر لوبين منزله.. وتوجه على التو إلى أحد المقاهي.. وفض الظرف.. فوجد في داخله أوراقا مالية بمائة ألف فرنك.. فأودعها جيبه وهو يبتسم ابتسامة تسيل رقة وعذوبة.

* * *

وبعد بضع دقائق غادر المقهى.. وعاد إلى الشارع الذي يستقر فيه منزله.. وألقى نظرة.. من بعيد.. على باب المنزل.. فوجد.. كما توقع.. سيارة من سيارات البوليس.. فابتسم ابتسامة عريضة.. وسار في سبيله.. وهو يصفر بفمه لحنا شائعا.

وفي نفس هذه اللحظة.. كان المسيو روفيه.. تاجر المجوهرات.. جالسا في مكتبه القائم في أقصى مخزنه الكبير.. وأمامه الطرد الصغير الذي أرسلة لوبين في لفافة من الورق العادي.. البسيط.

ومد تاجر المجوهرات يده في سرور بالغ.. ومزق الغلاف الخارجي.. وشاهد تحته صندوق صغير من الكرتون.. ما إن فتحه.. حتى ارتجف بدنه.. وجحظت عيناه.. وكاد يختنق وهو في مكانه.

كان الصندوق خاليا.. إلا من ورقة صغيرة.. مكتوب عليها:

«نهارك سعيد يا مسيو روفيه»

* * *

صعد الدم إلى رأس تاجر المجوهرات.. وأحس بما يشبه الدوار.. وكاد يلقى بأحد موظفيه إلى الخارج.. عندما دخل عليه يريد أن يحدثه في بعض شئون المحل والزبائن.

ولكن ما لبث أن تمالك نفسه. ووضع رأسه بين يديه.. وأخذ يفكر.

* * *

وفي الساعة الحادية عشرة كان لوبين يقف في مكان قريب من قصر الكونت دى جوفنيل.

وبعد وقت قصير أقبلت سيارة من سيارات البوليس نزل منها رجلان.. اتجها نحو باب القصر.

وتمهل لوبين قليلا.. ثم أشعل لفافة تبغ.. وسار بدوره نحو الداخل.. ودق الجرس.. ففتح له أحد الخدم.

قال بصوت مرتفع.. ولهجة آمرة:

– إنى أريد التحدث إلى المفتش بيشو الذي دخل عندكم الآن.

فأحنى الخادم رأسه.. وأشار له بالدخول.. وقد ظن أنه أحد رجال البوليس.

واتجه لوبين على الفور إلى غرفة الاستقبال.

كان يعلم أن الجميع لابد أن يكونوا فيها.

وبعد لحظات كان لوبين يوزع تحياته على أربعة أشخاص.

الكونت دى جوفنيل.. وزوجته «الكونتس».. والمفتش بيشو..

ومساعده مسيو دوفال.

* * *

ولم يصدق بيشو عينيه عندما شاهد لوبين.

صاح بصوت يرتجف غضبا:

- أهذا أنت يا مسيو لاروش. أو يا مسيو بارنيت. أو يا مسيو لوبين. كيف أتيت إلى هنا بكل جرأة واستهتار؟!

فأجاب لوبين في هدوء:

- جئت لأراك.. وأتمتع بوجهك الصبوح.. وسحنتك الجذابة!!

وهز بيشو رأسه.. وكأنه لا يصدق ما سمعه من كلمات لوبين.. ثم التفت إلى «الكونتس».. وسألها:

- سيدتى الكونتس.. أهذا هو الرجل؟

فأجابت الكونتس بلهجة جازمة:

- نعم.. إنه هو بالتأكيد.

فابتسم لوبين وقال:

- لابد أنك مخطئة يا سيدتي.. فإنى لم أرك قبل اليوم فهل لك أن تتكرمى بالإفصاح عن التهمة التي تصرين على إلصاقها بى؟

وغمز لها بعينه.. دون أن ينتبه أحد من الحاضرين وفهمت من غمزته.. ومن نظراته نحو بيشو.. ما أراد أن يقول لها.

فهمت أن بيشو لم يتذكر ملامحها «حتى الآن».. وأن لوبين لو شاء أن ينشط ذاكرة المفتش.. وأن يذكر له اسمها الحقيقي وأن يفصح أمامه عن شخصيتها الأصلية.. إذن لوقع لها ما لا تحمد عقباه.. مما لا يتفق مع أغراضها وأهدافها.. وأمانيها.

فهمت «الكونتس» كل ذلك.. وغلى الدم في عروقها.. ولكنها لزمت الصمت رغم أنفها.. ولم تنطق بكلمة واحدة.

* * *

وتنهد المفتش بيشو.. وأمعن النظر إلى وجه لوبين.. محاولا أن يتغلغل إلى قرارة نفسه.

كان أدرى الناس بصديقه اللدود في مثل هذه الأحوال.

كان على ثقة بأن لوبين.. هو لاروش.. أوجيمس بارنيت أو مارتن ديل.. وغير ذلك من الأسماء المستعارة.. ولكنه لم يكن يشعر بهذه الثقة التامة حين ينفى لوبين أحد التهم عن نفسه.. لأنه في نهاية الأمر يثبت أقواله.. ولا يبدو من الكاذبين.

* * *

وهز المفتش بيشو رأسه عدة مرات.. ثم نظر إلى لوبين.. وقال له:

- إنك متهم يا مسيو لاروش.. بأنك سطوت في فجر الليلة البارحة على مخدع الكونتس.. وسرقت «مجموعة مجوهرات جوفنيل» النادرة.. وقد اتصل بنا هذا الصباح تاجر مجوهرات يدعى «روفيه».. وذكر لنا أنك اتصلت به تليفونيا.. وسألته إذا كان مستعدا لشراء مجموعة المجوهرات الثمينة.. فلما وافق ذهبت إليه.. وعرضتها عليه.. فاكتشف.. بعد فحصها.. أنها «مجموعة مجوهرات جوفينيل» المشهورة.. وعندئذ اعتذر لك لعدم استطاعته شراءها.. ثم بادر بالاتصال بإدارة الأمن العام.

* * *

ضحك لوبين طويلا بعد أن سمع اتهام بيشو له.. ثم سأله:

- ما الذي تريد عمله الآن؟

فأجاب بيشو في بساطة: سوف ألقى القبض عليك طبعا.. ولكن ما الذي حملك على هذه الزيارة.. إذا لم تكن لك علاقة بهذه السرقة؟

- بل لقد جئت لأقابلك بشأنها.. فإنى أعرف الكثير عنها.

- وما الذي تعرفه؟

– مهلا يا عزيزي بيشو.. سوف تعرف الحقيقة حالا.. ولكن لابد لي من معرفة من الذي وقع في هذا الخطأ.. هل هي الكونتس؟ أم هل هو المسيو روفيه.. تاجر المجوهرات؟

وأمسك عن الكلام ليرى وقع كلامه على سامعيه.. ثم مضى يقول:

– هل تسمح لي بالاتصال بالمسيو روفيه.. لا ريب عندي في أنه أخطأ في شخصية الرجل الذي التقى به هذا الصباح وهز بيشو كتفيه وقال:

– إن التليفون في الصالة.. ويمكنك أن تستعمله.. وسيلازمك مساعدى المسيو دوفال حتى تنتهي من حديثك.

* * *

سأل لوبين مساعد بيشو وهما في طريقهما إلى التليفون عما إذا كان يعرف اللغة الإنجليزية.. فلما أجابه بالنفي سر لوبين.. وابتسم ابتسامة ماكرة.

وما أن سمع صوت تاجر المجوهرات في التليفون حتى بدأ يتحدث معه بالإنجليزية:

قال له بصوت ساخر:

– اصغ إلى يا روفيه.. واسمع جيدا ما سوف أقوله لك.. وإلا وضعتك أنت وصديقتك «الكونتس» في موقف شديد التعقيد..

يصعب على الشيطان نفسه التخلص منه. لقد استمعت منك أول أمس إلى قصة طريفة خيل إليك أننى صدقتها.. واقتنعت بها.. ولكن الواقع غير ذلك.. والرأى عندي أن السبب الذي حملك أنت والكونتس على تنفيذ هذه الخطة.. هو رغبتكما في الحصول على هذه الجواهر الغالية بدون ثمن مطلقا.. وبناء على هذا اتفقت – أنت والكونتس – على أن أتولى أنا سرقة المجوهرات. ثم أرسلها إليك مقابل ألف فرنك.. وبذلك تستولى أنت عليها بسهولة.. ودون أن يعرف بأمرك أحد.. ثم تقول للبوليس.. بعد ذلك.. إننى قد اتصلت بك تليفونيا.. وعرضت عليك شراء «مجموعة المجوهرات».. فعرفتني من صوتي.. وأرشدتهم عني في الحال.. وبعد دقائق يقتحم رجال البوليس مسكنى.. فيجدون مائة ألف فرانك في جيبي.. أو في غرفتي.. ولكنهم لن يجدوا الجواهر بالطبع.. لأنك تكون قد تسلمتها منى.. وبذلك تنال الكونتس تعويضا مجزيا كجزء صغير من ثمن المجوهرات.. ويظن رجال البوليس إننى قد بعت المسروقات إلى شخص مجهول.

إنها.. والحق يقال.. خطة محبوكة.. محكمة.. ولابد أنك قد اشتركت مع الكونتس في أعمال نصب واحتيال عديدة قبل اليوم.

* * *

صاح تاجر المجوهرات عبر التليفون

– من أين تتكلم يا لوبين؟ وما الذي تهدف إليه من وراء هذه القصة الطريفة؟

فقهقه لوبين ضاحكا.. وأجابه قائلا:

– إنى أحدثك من قصر صديقتك الكونتس.. وقد قلت للمفتش بيشو إنك ولا ريب وقعت في خطأ بالغ.. فالتبس عليك الأمر.. حين ذكرت أننى سبق أن حدثتك بأمر هذه المجوهرات.. وأنك بغير شك – ستبادر إلى تصحيح موقفي.. وتكذيب ما قلته عني.

فصاح تاجر المجوهرات في حدة:

– هل أنت مجنون؟ أنت سارق الجواهر بالتأكيد.. وما من أحد يعرف أن المال الذي معك هو مالى.. ومن المؤكد أن إدارة الأمن العام ستظن أن هذا المال هو ثمن الجواهر المباعة.. وأعتقد أن هذا سيكلفك عشر سنوات في السجن.

فقال لوبين وهو ما يزال يضحك ساخرا:

– اسمع يا روفيه.. إذا لم تنفذ ما سوف أقوله لك.. فسوف تكون أنت والكونتس موضع اتهام البوليس بعد نصف ساعة فقط.

فهتف تاجر المجوهرات هازئا: وكيف تستطيع ذلك بحق السماء؟

فأجابه لوبين في لهجة جادة.. هادئة:

– لقد ارتبت في حديثك.. وشعرت بالشك في نواياك عقب لقائى معك ليلة أمس.. فلما سرقت الجواهر.. وهممت بمغادرة الغرفة لاحظت أن أهداب الكونتس كانت تتحرك.. فأيقنت أنها ليست نائمة.. وأنها تراقبنى.. فتظاهرت بالانصراف.. ثم عدت مرة أخرى فراقبتها من خلال الستائر.. فشاهدتها تغادر الفراش.. بعد ذهابي.. وتتقدم نحو المنضدة.. وتفتح الدرج.. وتستخرج الصندوق.. ثم تعيده إلى مكانه وهي ضاحكة الوجه.. باسمة الثغر.. وأخيرا عادت إلى فراشها.. واستسلمت لنوم عميق.. هل تسمعني يا روفيه؟

– نعم.. إنى مصغ إليك أيها الوغد.

فقهقه لوبين.. واستطرد موضحا:

– وقد لزمت مكاني في الشرفة أراقب الكونتس.. ولم أبرحها إلا بعد ساعة من الزمن.. فلما تأكدت من إنها استغرقت في النوم.. عدت إلى مخدعها.. وأخفيت الجواهر في لفافة وضعتها في دولاب ملابسها.. وما تزال الجواهر في غرفتها حتى الآن.. ولكنها تجهل ذلك بالطبع.

صاح روفيه مذعورا:

- يا إلهي.

وأردف لوبين ساخرا:

- إذا لم تنفذ مطالبى.. ففي مقدوري أن أطلب من رجال البوليس تفتيش الغرفة.. ولسوف يتم اكتشاف الجواهر بين ثيابها.. بين ثياب صديقتك وشريكتك ذات التاريخ الحافل في النصب والاحتيال.. ستكون فضيحة الموسم يا عزيزي روفيه.. وسيعرف الجميع -وخصوصا رجال البوليس- أن الكونتس الحسناء قد سرقت جواهرها.. وأخفتها.. واتهمت شخصا غريبا عنها بالسطو عليها.. بعد اتفاقها معك كشريك لها في هذه المهمة غير الشريفة.

ولا أظن بعد هذا إلا أن يلقى البوليس القبض عليك أنت وشريكتك.. وفي هذه الحالة سوف أدفع بدوري دعوى عليك وعليها مطالبا بتعويض جسيم مقابل اتهامي.. وتشويه سمعتى.

* * *

سمع لوبين تنهدات وزفرات تاجر المجوهرات تنبعث من سماعة التليفون جلية.. واضحة.. فابتسم ساخرا.

وبعد لحظة صمت قصيرة قال روفيه في تخاذل وانهيار:

- حسنا.. سوف أحضر حالا إلى منزل الكونتس.. وسوف أتحدث

إلى الكونتس بالأمر أيضا.. وأطلعها على الحقيقة.. ولكن متى سترد المائة ألف فرنك التي أخذتها منى؟

فقال لوبين في دهشة بالغة.. واستنكار شديد:

– عجبا.. لم أكن أعلم بوقاحتك من قبل.. أي مائة ألف فرنك أيها الرجل.. إننى لا أذكر أنك أعطيتني شيئا على الإطلاق!!

وحذار أن يفهم المفتش بيشو شيئا من ذلك.. حتى لا تفضح نفسك.. فتسوء العاقبة.. وتدفع الثمن غاليا فصاح تاجر المجوهرات بحنق بالغ وهو يكاد ينفجر غضبا:

– حسنا أيها الوغد.. حسنا.. إن الغلطة غلطتي.. وقد كان من الواجب على أن أكون أكثر حرصا وحذرا مع أمثالك من المحتالين.

ووضع سماعة التليفون وهو يرتجف انفعالا.. ورنين ضحكة لوبين الساخرة لا يزال يتغلغل في أذنه.

لمست